حركة الترجمة من التراث اليوناني في العصر العباسي

عبد الرحمن أحمد سالم(*)

مقدمة:

يتفق الباحثون على أنَّ العصر العباسي شهد تألُّق الحضارة الإسلامية وانطلاقها إلى آفاق غير مسبوقة، ولا شك أنَّ ما تميز به ذلك العصر من **انتشار حركة الترجمة إلى العربية** من التراث العالمي بصفة عامة، والتراث اليوناني بصفة خاصة= كان من بين الركائز الأساسية التي قامت عليها هذه النهضة الحضارية الشاملة، والسؤال المشروع هنا هو: لماذا لم تظهر تلك الحركة في صدر الإسلام أو في العصر الأموي؟ والإجابة يمكن أن تلتمس في الظروف التاريخية التي مرت بها الدولة الإسلامية حينذاك، فقد شَغَل المسلمون أنفسهم في صدر الإسلام بحركة الفتوحات؛ توطيدًا لقواعد الدولة الناشئة، وصدًّا للمتربصين بها، ثم شهد العصر الأموي أعظم اتساع لهذه الحركة، وكان أهمُّ ما ارتبط بحركة الفتوحات في العصرين الراشدي والأموي= محاولةَ وضع الأسس الراسخة للنظم المختلفة التي تسير عليها الدولة الإسلامية؛ من سياسية، وإدارية، ومالية، وقضائية، وحربية، وغير ذلك، كما واجه الأُمويون عبئًا إضافيًّا ثقيلًا، وهو تعريب دواوين الدولة الإسلامية؛ وهي المهمة التي قاموا بها على خير وجه، فكان هذا من أعظم إنجازاتهم الحضارية. ولكننا -مع ذلك- لا نجد في مصادرنا ما يشير إلى أن الأُمويين بذلوا جهدًا ملموسًا منظَّمًا في مجال الترجمة إلى اللغة العربية؛ صحيحٌ أنَّ **خالد بن يزيد بن معاوية** كانت له محاولات في هذا المجال تُجمِع

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر. البريد الإلكتروني: arsalem@aucegypt.edu

عليها مصادرنا[١]، ولكن هذه المحاولات لم تكن إلا جهودًا فردية خاصة، لا حركة رسمية منظمة هادفة[٢]، كما انحصرت هذه المحاولات في بعض الاهتمامات الشخصية لخالد في مجال الكيمياء والطب والفلك، ومما يُروى أيضًا في هذا الصدد أن ماسرجويه (أو ماسرجيس) اليهودي الطبيب «تولَّى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن القس في الطب»[٣]، وقيل إنَّه ترجمه في أيام مروان بن الحكم[٤]، ولم يكن لهذه المحاولات -على كل حال- آثار واضحة بعيدة المدى[٥]. وبسقوط الخلافة الأموية في الشام وقيام الخلافة العباسية في العراق سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م) بدأت الدولة الإسلامية تدخل طَوْرًا جديدًا في تاريخها، يختلف في ملامحه السياسية والاجتماعية والثقافية عن مألوفها قبل ذلك. على أنَّ ما يعنينا في هذا السياق هو ذلك التطور الثقافي الذي واكب ظهور الخلافة العباسية، ويعنينا من هذا التطور بالتحديد ظهور تلك الحركة الشخصية المتفتحة، التي تمثلت في ترجمة عيون التراث؛ الإنساني عامة، واليوناني خاصة، إلى اللغة العربية، وهذا الأخير هو ما سنُدير حوله حديثنا في هذا البحث.

ولا شك أنَّ من بين العوامل التي أعانت العباسيين على تنفيذ هذه المهمة الجليلة= وجودَ عددٍ من المراكز الأساسية للثقافة اليونانية في دولة الخلافة العباسية، وهذا ما سنتناوله الآن باختصار قبل أن نتحدث عن نشأة حركة الترجمة من التراث اليوناني وتطورها في العصر العباسي.

أهم مراكز الثقافة اليونانية في دولة الخلافة العباسية:

تعددت مراكز الثقافة الهيلينية اليونانية في الأقاليم الخاضعة لسلطان الخلافة العباسية، وسنخص بالحديث هنا أهمَّ المراكز، وهي: **جُنْدَيْسَابور**، وأنطاكية، والرُّها، ونصيبين، وحران، والإسكندرية. ولعلَّ أهمَّ هذه المراكز على الإطلاق كانت مدينة جُنْدَيْسَابور عاصمة إقليم خوزستان

---

(١) يروي **ابن النديم** أنَّ المترجم اصطفن القديم «نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها». «**الفهرست**»، (ص/ ٣٤٠)، ويروي في موضع آخر أنَّ خالدًا «هو أول من تُرجِم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء». المصدر نفسه، (ص/ ٤٩٧). وعن اهتمام خالد بالكيمياء والطب بصفة خاصة راجع: «**طبقات الأمم**» لصاعد بن أحمد الأندلسي، (ص/ ٧٥). وأيضًا: «**وفيات الأعيان**»، لابن خَلِّكان، (٢/ ٢١٣)

(٢) انظر: «**ضحى الإسلام**»، لأحمد أمين، (١/ ٢٧١).

(٣) «**إخبار العلماء بأخبار الحكماء**»، لابن القِفْطي، (ص/ ٢١٣).

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها، وانظر أيضًا: «**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**» لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ١٠٤). ولكن ابن أبي أصيبعة يقول إنَّ ماسرجويه تولى ذلك في أيام الدولة المروانية، دون تحديد اسم الخليفة الذي ترجم في عهده الكتاب.

(٥) يذكر «بروكلمان» أنَّ كتاب «**مفتاح أسرار النجوم**» لهرمس تمَّت ترجمته في العصر الأموي في سنة (١٢٥هـ = ٧٤٣م)، كما يذكر أن المصنفات الطبية بدأت ترجمتها في عصر بني أمية. «**تاريخ الأدب العربي**»، (٤/ ٩٠)، وهامش ٣، ولكن إذا جاز لنا أن نُسَلِّم بصحة ذلك فمن غير الممكن أن ننظر إلى أمثال هذه الجهود المبعثرة على أنها تمثل حركةً عامة في مجال الترجمة.

الفارسي، وقد أنشأ هذه المدينة الإمبراطور الساساني سابور الأول (المتوفى سنة ٢٧١م)، «فنُسِبت إليه، وأسكنها سَبْيَ الروم وطائفة من جنده»[١]، وفتح المسلمون جُنْدَيْسَابور في سنة (١٧هـ) في خلافة عمر بن الخطاب[٢]. وقد برزت أهمية جُنْدَيْسَابور كمركز مهم من مراكز الثقافة اليونانية في بلاد الفرس في عهد الإمبراطور الساساني الأشهر كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م). ذلك أنَّ معاصره الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول (٥٢٧- ٥٦٥م) قرَّرَ في سنة (٥٢٩م) أنْ يُغلِق مدرسة أثينا الفلسفية، التي كانت تُمَثِّل معقل الوثنية في أراضي الإمبراطورية البيزنطية حينذاك[3].

وكان الإمبراطور كسرى أنوشروان شديد الإعجاب بالثقافة الهيلينية رغم عدائه للبيزنطيين، فرحَّب بأساتذة مدرسة أثينا الوثنية في الإمبراطورية الفارسية[4]، وحتى يترجم إعجابه بالثقافة الهيلينية إلى عمل قرر أن ينشئ في جُنْدَيْسَابور مدرسة تقوم على دراسة الطب اليوناني والفلسفة اليونانية[٥]، حيث لم يكن الطب يُدرَّس فيها نظريًّا فحسب، «بل كان يُدَرَّس عمليًّا في بيمارستان كبير كان نموذجًا لما كانت عليه الدراسة من بعد في العالم الإسلامي»[٦]، وكان تلاميذ هذه المدرسة يتكونون في الأساس من النساطرة السريان[٧] الذين كانوا يعيشون قبل ذلك في كنف الإمبراطورية البيزنطية، ولكنهم تعرضوا للاضطهاد الديني بسبب اختلاف عقيدتهم الدينية عن العقيدة الرسمية الأرثوذكسية[٨]، ولما كان هؤلاء النساطرة السريان يجيدون اللغة اليونانية فقد قاموا بترجمة أهم الأعمال الطبية والفلسفية من اليونانية إلى السريانية التي كانت لغة التعليم الأساسية[9]. ولقد استمرت مدرسة جُنْدَيْسَابور قرونًا طويلة بعد إنشائها تمثل مركزًا أساسيًّا لرعاية التراث اليوناني. أما أنطاكية الواقعة في شمال سوريا

(١) «**معجم البلدان**»، لياقوت، (٢/ ١٩٨).

(٢) «**تاريخ الطبري**»، (٤/ ٩٣).

(3) B. Russell, **History of Western philosophy,** P.370.

(4) G.Ostrogorsky, **History of the Byzantine State,** P.77.

(٥) راجع مادة «جُنْدَيْسَابور» في «**دائرة المعارف الإسلامية**»، (الطبعة العربية)، بقلم إيوار، (١٢/ ٣٥٩)، وانظر أيضًا: «**تاريخ الإسلام...**» للدكتور حسن إبراهيم حسن،(٢/٢٨٢).

(٦) انظر مقالة «مايرهوف»: من الإسكندرية إلى بغداد. وهي منشورة في كتاب: «**التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**»، للدكتور عبد الرحمن بدوي، (ص/ ٥٦).

(٧) ينتسب النساطرة إلى القس الأنطاكي نسطوريوس الذي شغل منصب بطريرك القسطنطينية من سنة (٤٢٨م)، إلى (٤٣١م)، وقد عُزِل نسطوريوس من منصبه وأُبعِد أخيرًا إلى مصر نتيجة آرائه التي صرح فيها بأنه لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في السيد المسيح بل هما مستقلتان تمامًا؛ انظر:

A.J. Maclean, «Nestorianism», in Encyclopedia of Religion and Ethics, vol9, P. 323f.

See also: P. Johnson, A History of Christianity, P.90, and G. Downey, A History of Antioch in Syria, PP.463-65.

(٨) وقد طردهم الإمبرطور البيزنطي جستنيان الأول من الرُّها لهذا السبب.

(9) Hitti, History of the Arabs, P.309.

(وهي الآن داخل الحدود التركية) فقد كانت أحد مسارح الصراع المزمن بين البيزنطيين والفرس حتى فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب[١]، وقد مثلت تلك المدينة أهم مركز للثقافة اليونانية في شمال سوريا وكان اهتمامها يدور حول الفلسفة اليونانية بصفة عامة وفلسفة أرسطو ومنطقه بشكل خاص[٢]، وكان لليعاقبة وجود قوي في أنطاكية فضلًا عن الوجود النسطوري بها[3]، والجدير بالذكر أن أهمية أنطاكية -كمركز أساسي للتراث اليوناني- اكتسبت بُعْدًا جديدًا بعد ظهور الإسلام؛ حيث انتقلت إليها من الإسكندرية مدرسة الفلاسفة والأطباء التي كانت مزدهرة هناك، وذلك زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ = ٧١٨- ٧٢٠)[٤]، ومن بين الأسباب المحتملة التي يطرحها بعض الباحثين تفسيرًا لهذا الانتقال فقدان الإسكندرية لأهميتها الثقافية والاقتصادية بعد أن أصبحت دمشق مركزًا لإدارة الدولة الإسلامية؛ هذا فضلًا عن موقع أنطاكية الذي جعل من السهل إحضار المخطوطات من آسيا الصغرى من أجل إنشاء مكتبات جديدة أو استكمال المكتبات القائمة فعلًا[٥]. وقد استمرت أنطاكية تتمتع بهذه المكانة الثقافية المتميزة منذ انتقال مدرسة الإسكندرية إليها حتى احتلت (حران) هذه المكانة في عهد الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧هـ = ٨٤٧-٨٦١م)[٦]. وبرز في بلاد الجزيرة عدد من المراكز المهمة التي أسهمت في رعاية التراث اليوناني، ومن أشهر هذه المراكز: الرُّها، ونَصِيبين، وحَرَّان.

أما الرُّها (Edessa)[٧] فقد كانت المركز الرئيس للنساطرة السريان في البلاد التي كانت تخضع للإمبراطورية البيزنطية[8]، ونظرًا للخلاف المذهبي بين النساطرة والبيزنطيين فقد أغلق الإمبراطور زينون (Zeno) في سنة (٤٨٩م) المدرسة النسطورية في الرها وطرد أساتذتها، فوجد هؤلاء ملجأ آمنًا في بلاد الإمبراطورية الفارسية؛ حيث رحب بهم إمبراطور الفرس باعتبارهم خصومًا لعدوه الألدّ

(١) ارجع في ذلك إلى مادة «أنطاكية» في «**دائرة المعارف الإسلامية**»، (الطبعة العربية) بقلم شترك، (٥/ ٨٧)، وانظر أيضًا: Downey, Op. cit., P 535ff.

(٢) انظر: «**الحدود الإسلامية البيزنطية**»، لفتحي عثمان، (٣/ ٢٦٢).

(3) Cf., Downy, Op. cit., P.534.

(٤) «**التنبيه والإشراف**»، للمسعودي، (ص/ ١٠٥)، و«**طبقات الأطباء**»، لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ٢٤). [ترجمة: عبد الملك بن أبجر].

(٥) مايرهوف: **المرجع السابق**، (ص/ ٦٨، ٦٩).

(٦) «**التنبيه والإشراف**» للمسعودي، (ص/ ١٠٥).

(٧) الرُّها هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية (Callirrhoe) وهي تعرف الآن في التركية باسم «أورفة» للمزيد حول الرها راجع: Le Strange, **the Lands of the Eastern Caliphate,** PP. 103-104.

(8) A.A. Vasiliev, **History of the Byzantine Empire,** P. 99.

المتمثل في الإمبراطورية البيزنطية[١]، وقد استقر النساطرة عندئذ في نَصِيبين (Nisibis) من بلاد الجزيرة، وكانت في ذلك الوقت خاضعةً للإمبراطورية الفارسية، وأسَّسوا هناك مدرسة جديدة لهم كانت إحياء لمدرسة الرُّها[٢]. والجدير بالملاحظة أن المدرسة النسطورية في الرُّها ثم في نَصِيبين خصَّت أرسطو بمزيد من الاهتمام؛ وذلك من أجل أعماله المنطقية بصفة خاصة، ويلاحظ (برتراندرسل) في هذا السياق أن الفلاسفة العرب أيضًا وجَّهوا اهتمامًا خاصًّا في البداية لمنطق أرسطو[3]، وقد ترجم علماء النساطرة أعمال الفلاسفة اليونانيين كأرسطو وشُرَّاحه إلى اللغة السريانية؛ «لأن قدرًا من المعرفة بهؤلاء كان ضروريًّا لفهم اللاهوت»[٤]. نأتي إلى حران وهي المركز الثالث المهم للثقافة الإغريقية في بلاد الجزيرة، وقد فتح المسلمون **حران** -كغيرها من بلاد الجزيرة- في خلافة عمر بن الخطاب، على يد: **عياض بن غنم**، وهي مدينة قديمة جدًّا بين الرها ورأس عين أحد روافد الفرات الصغيرة[٥]؛ فهي بذلك تقع في وسط منطقة الثقافة السريانية المسيحية[٦]، وكانت الدراسات اليونانية متقدمة منذ زمن بعيد في المنطقة كلها، وخاصة حران؛ ومن هنا أطلق عليها بعض آباء الكنيسة اسم «هيلينو بوليس»؛ أي: مدينة اليونانيين الوثنية[٧]، ويرتبط اسم حران في التاريخ بأنها «منازل الصابئة) الوثنيين[٨].

والجدير بالملاحظة أن المدرسة النسطورية في الرُّها ثم في نَصِيبين خصَّت أرسطو بمزيد من الاهتمام؛ وذلك من أجل أعماله المنطقية بصفة خاصة، ويلاحظ (برتراندرسل) في هذا السياق أن الفلاسفة العرب أيضًا وجَّهوا اهتمامًا خاصًّا في البداية لمنطق أرسطو.

وكانت حران عندما فتحها المسلمون قصبة ديار مضر ببلاد الجزيرة، وقد استمرت بعد ذلك عدة قرون مركزًا للصابئة، كما ظلت تمارس نشاطها العلمي في رعاية التراث اليوناني وتشجيعه،

(١) راجع: «**الفكر العربي ومكانه في التاريخ**»، تأليف: ديلاسي أوليري، (ص/ ٥٠)، و«**حضارة العرب**»، لغوستاف لوبون، (ص/ ٤٣٣)، وانظر أيضًا: Vasiliev, loc. cit

(٢) للمزيد، ارجع إلى: «**الحدود الإسلامية البيزنطية**» للدكتور فتحي عثمان، (٣/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(3) Bertrand Russel, **History of Western Philosophy**, P.417.

(٤) «**الفكر العربي ومكانه في التاريخ**»، لـ«أوليري»، (ص/ ٥١).

(٥) راجع مادة «حران» في «**دائرة المعارف الإسلامية**»، (الطبعة العربية) بقلم: فاير، (١٤/ ٥٥). وانظر أيضًا: Le Strange, op, cit., P.103

(٦) ديلاسي أوليري: «**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، (ص/ ٢٥٨).

(٧) مايرهوف: **المرجع السابق**، (ص/ ٧٠)، ومادة «حران» في «**دائرة المعارف الإسلامية**»، (١٤/ ٥٥).

(٨) «**معجم البلدان**»، لياقوت، (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

وزادت أهميتها في هذه الناحية عندما انتقلت إليها من أنطاكية المدرسة اليونانية في الطب والفلسفة، وذلك في عهد الخليفة المتوكل كما سبق أن أشرنا. يبقى أخيرًا أن نتحدث عن **الإسكندرية** باعتبارها أحد المراكز الأساسية للتراث اليوناني في البلاد التي خضعت لسلطان الدولة الإسلامية، وقد كانت الإسكندرية عاصمة مصر البيزنطية عندما فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص.

والمعروف أنَّ الإسكندرية قامت بدورها في احتضان الثقافة اليونانية منذ إنشائها على يد الإسكندر الأكبر سنة (٣٢٣ قبل الميلاد) حتى الفتح الإسلامي، وفي عهد البطالسة تم بناء متحفها الشهير «الذي أصبح بعد قليل جامعةً هيلينية تنافس المدارس الأثينية القديمة»[١]، وأُلحقت به مكتبة كانت تُعدّ أغنى مكتبات العالم القديم، وبفضلها أصبحت الإسكندرية قبلة العلماء[٢]، ورغم أنَّ مكتبة الإسكندرية أحرقت في أواخر القرن الرابع الميلادي، على يد الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الأول (٣٧٩- ٣٩٥م)، فإن الإسكندرية لم تَتَخَلَّ تمامًا عن دورها في مجال الدراسات اليونانية؛ حيث استمرت المدارس والمكتبات الخاصة تقوم بهذه المهمة، وهذا ما أثبتته أوراق البردي البيزنطية؛ إذ تتحدث عن متاحف للدراسة (أو أكاديميات) في العصور التالية لإحراق المكتبة[٣]، وتجدر الإشارة إلى أن أهم المجالات التي تميَّزت فيها الإسكندرية في حقل الدراسات اليونانية كانت الفلسفة والطب والفلك والرياضيات[٤]، ولكن الطب وما ارتبط به من الكيمياء كان أوثق هذه العلوم ارتباطًا بمدرسة الإسكندرية[٥]، ومما يقوله **ابن القِفْطي** في ذلك: «والإسكندرانيون هم الذين رتَّبوا بالإسكندرية دار العلم ومجالس الدرس الطبي، وكانوا يقرؤون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذي يُقرَأ عليه اليوم، وعملوا لها تفاسير وجوامع تختصر معانيها، ويَسهُل على القارئ حفظُها وحملها في الأسفار»[٦].

هذه المراكز الزاهرة للثقافة اليونانية دخلت جميعها تحت راية الدولة الإسلامية منذ عصر الخلفاء الراشدين، وعندما انتهى المسلمون من وضع الأسس اللازمة لتوطيد كيان دولتهم من الناحية السياسية والعسكرية والإدارية أخذوا

(١) «مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب»، لـ«أوليري»، (ص/ ٢٧).

(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٢٨).

(٣) انظر: «من الإسكندرية إلى بغداد»، لمايرهوف، المرجع السابق، (ص/ ٤١).

(٤) «مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب»، (ص/ ٢٩).

(٥) «الفكر العربي ومكانه في التاريخ»، لـ «ديلاسي أوليري»، (ص/ ٥٧).

(٦) «أخبار الحكماء»، لابن القفطي، (ص/ ٥٢).

يتطلعون إلى تنفيذ مشروع ثقافي جبار، يضع في أيديهم مفاتيح كنوز الفكر العالمي؛ لتزداد حضارتهم ثراءً وقوة، وكان ذلك في مطلع العصر العباسي، وقد جاء التراث اليوناني على رأس الأولويات الثقافية أمام العباسيين؛ لما امتاز به هذا التراث من غنًى وخصوبةٍ وتنوع، وهكذا أُتيح لتلك المراكز الثقافية اليونانية في دولة الخلافة أن تُقدِّم للعباسيين أعظم عونٍ في هذا المجال.

ولم يُضيِّع العباسيون وقتًا بعد قيام دولتهم في العراق في سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م)، فبدؤوا تلك الحركة الهائلة في عهد الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ = ٧٥٤- ٧٧٥م) الذي يُعدّ المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس، وقد يكون من المناسب هنا أن نُحدِّد الفترة التي استغرقتها حركة الترجمة، والتي مثَّلتْ ما يعرف بعصر الترجمة، ورغم أن بعض الباحثين يُقدِّرها بقرن أو قرن ونصف، فإنَّنا نرى أنها امتدت إلى حوالي قرنين ونصف (أي من أوائل النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إلى نهاية القرن العاشر تقريبًا)[١]، ومن الطبيعي ألا تسير حركة الترجمة خلال هذه الفترة الممتدة على نمط واحد، بل تتفاوت في سماتها واتجاهاتها بحكم التطور الزمني والظروف المحيطة، ومن هنا يمكن القول إنَّ هذه الحركة شهدت أدوارًا أربعة رئيسة، تتمثل فيما يلي:

(١) دور النشأة.
(٢) دور النمو والاتساع.
(٣) دور الازدهار (أو: العصر الذهبي للترجمة).
(٤) الدور الأخير للترجمة.

ونتناول الآن هذه الأدوار بقدرٍ من الاختصار والتركيز:

أولًا- دور النشأة:

تُجمِع مصادرنا على أنَّ الخليفة أبا جعفر المنصور هو أول من بدأ حركة الترجمة (أو النقل) من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية[٢]، وإذا فحصنا أسماء الكتب التي تذكر مصادرنا أنَّها تُرجِمت في عهد المنصور= وجدنا معظمها من التراث اليوناني، يروي **المسعودي** أن المنصور «تُرْجِمت له كتب أرسطاطاليس من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب **المجسطي** لبطليموس وكتاب **الأرثماطيقي**، وكتاب إقليدس... وأُخرجت للناس، فنظروا فيها، وتعلقوا إلى عملها»[٣]، ويقول صاعد بن أحمد الأندلسي: «إنَّ أول علم اعتُني

(١) «**ضحى الإسلام**»، لأحمد أمين، (١/ ٢٥٣).

(٢) انظر مثلاً: «**مروج الذهب**»، للمسعودي، (٤/ ٣١٤)، و«**طبقات الأمم**» لصاعد بن أحمد الأندلسي، (ص/ ٧٥)، و«تاريخ الخلفاء»، للسيوطي، (ص/ ٣١٤).

(٣) «**مروج الذهب**»، (٤/ ٣١٤).

بـه مـن علـوم الفلسـفة علـم المنطـق والنجـوم، فأمـا المنطـق فـأول مـن اشـتهر بـه في هـذه الدولـة عبـد اللـه بـن المُقَفَّـع، الخطيـب الفـارسي، كاتـب أبي جعفـر المنصـور، فإنـه ترجـم كتـب أرسـطاطاليس المنطقيـة الثلاثـة.. وهي كتـاب قاطاغورياس، وكتـاب باريأرمنيـاس، وكتـاب أنولوطيقـا، وذكـر أنـه لـم يترجـم منـه إلى وقتـه إلا الكتـاب الأول فقـط، وترجـم ذلـك المدخـل إلى كتـاب المنطـق المعـروف بالإيسـاغوجي لفرفوريـوس الصـوري، وعـبَّر عـما ترجـم مـن ذلـك عبارة سـهلة قريبـة المأخـذ..»[١]، ويقول ابـن خلـدون: «بعـث أبـو جعفر المنصـور إلى ملـك الـروم أن يبعـث إليـه بكتـب التعاليـم مترجمـة، فبعـث إليـه بكتـاب أوقليـدس وبعـض كتـب الطبيعيـات، فقرأها المسـلمون واطلعـوا عـلى مـا فيهـا، وازدادوا حرصًـا عـلى الظفـر بمـا بقـي منهـا»[٢]، ويقـول ابـن أبي أصيبعـة في حديثـه عـن البطريـق المترجـم: «كان في أيـام المنصـور، وأمـره بنقـل أشـياء مـن الكتـب القديمـة، ولـه نقـل كثـير جيـد.. وقـد وجـدت بنقلـه كتبًـا كثـيرة في الطـب مـن كتـب أبقـراط وجالينـوس»[٣]، ويقـول في ترجمتـه لجورجيـس (أوجورجيـوس) بـن جبرائيـل، وهـو يقصد بـه بالطبـع: جورجيس بـن بختيشـوع[٤]: «كانـت لـه خـبرة بصناعـة الطـب ومعرفـة بالمـداواة وأنـواع العـلاج، وخـدم بصناعـة الطـب المنصـور وكان حظيًّـا عنـده.. وقـد نقـل للمنصـور كتبًـا كثـيرة مـن كتـب اليونانيـين إلى العـرب»[٥].

يمكننـا أن نسـتخلص مـن النصـوص السـابقة أن أهـم مجـالات الترجمـة مـن اليونانيـة في عـصر المنصـور هـي الفلـك والهندسـة والطـب والمنطـق، ولكـن ترجمـة كتـب المنطـق في عـصر المنصـور تثـور حولهـا مناقشـات طويلـة سـوف نتعـرض لهـا فيـما بعـد، أمـا في هـذا السـياق فينبغـي أن نشـير إلى أن مـا تُرجـم في المجـالات الثلاثـة الأولى (الفلـك، والهندسـة، والطـب) يمثـل أصـولًا لا غنـى عنهـا، فكتـاب «**المجسـطي**» لبطليمـوس هـو عمـدة كتـب الفلـك جميعًـا في العصـور القديمـة والوسـطى، وقـد أُطْلِـق عليـه اسـم «المجسـطي» لأنـه يـأتي عـلى رأس كتـب الفلـك التـي ألفهـا بطليمـوس، وهـذه الكلمـة يونانيـة معناهـا «الأعظـم»، وقـد احتفـظ بهـا العـرب في تسـميتهم لهـذا الكتـاب[٦]، وفي كتـاب «المجسـطي»يقول **صاعـد بـن أحمـد** الأندلـسي: «ولا أعـرف كتابًـا أُلِّـف في علـم مـن العلـوم قديمهـا

(١) «**طبقات الأمم**»، (ص/ ٧٧).

(٢) «**مقدمة ابن خلدون**»، (ص/ ٤٨٠).

(٣) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٧٤).

(٤) انظر: ما يلي، (ص/ ١٩).

(٥) المصدر نفسه، (ص/ ٣٧).

(٦) «**دور العـرب في تكويـن الفكـر الأوروبي**»، للدكتـور عبـد الرحمـن بـدوي، (ص/ ١١).

وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بجميع أجزاء الفن غير ثلاثة كتب؛ أحدها كتاب المجسطي هذا في علم الهيئة والفلك وحركات النجوم...»[١].

ويُقارَن عمل بطليموس في الفلك بعمل إقليدس في الهندسة[٢]، وإقليدس -كما يقول ابن القفطي- كان أعلم أهل زمانه بالهندسة، وكتابه العمدة في ذلك هو ما يعرفه العرب باسم «الأصول» أو «أصول الهندسة»، وهو «كتاب جليل القدر عظيم النفع، أصلٌ في هذا النوع، لم يكن ليونان قبله كتاب جامع في هذا الشأن، ولا جاء بعده إلا من دار حوله وقال قوله»[٣].

وفيما يتعلق بالكتب الطبية التي تُرجمت في عصر المنصور لم يُحدِّد لنا ابن أبي أصيبعة فيما نقلناه عنه سابقًا أسماء هذا الكتب، ولكنه في حديثه عن ترجمات البطريق يذكر أنها كانت من كتب أبقراط وجالينوس، ومعلومٌ أن كل المؤلفات الطبية لهذين الطبيبين الكبيرين كانت تُمثل أصولًا لا غنى عنها للمتطبِّبين. بقيت كتب المنطق التي أشار إليها صاعد بن أحمد في الاقتباس السابق بأسمائها اليونانية، وقبل أن نناقش المشكلة التي تثور حول ترجمة هذه الكتب في عصر المنصور نَوَدُّ أن نقول هنا إنَّ كتب أرسطو الثلاثة المذكورة في النص هي جزء من كتبه المعروفة في المنطق، وهي: المقولات (قاطيغورياس)، والعبارة أو التفسير (باري إرمنياس)، والتحليلات (أنا لوطيقا)؛ وهي تنقسم إلى التحليلات الأولى والتحليلات الثانية، ثم المواضع أو الجدل (طوبيقا)، والمغالطات (سوفسطيقا)، والخطابة (ريطوريقا)[٤].

وفيما يتعلق بالكتب الطبية التي تُرجمت في عصر المنصور لم يُحدِّد لنا ابن أبي أصيبعة فيما نقلناه عنه سابقًا أسماء هذا الكتب، ولكنه في حديثه عن ترجمات البطريق يذكر أنها كانت من كتب أبقراط وجالينوس، ومعلومٌ أن كل المؤلفات الطبية لهذين الطبيبين الكبيرين كانت تُمثل أصولًا لا غنى عنها للمتطبِّبين.

ولا شك أنَّ مكانة أرسطو في علم المنطق لا تُدَانِيها مكانة أخرى، ورغم أنَّ تأثير هذا الفيلسوف كان عظيمًا في مجالات مختلفة

(١) «**طبقات الأمم**»، (ص/ ٤٦). وتمام نص صاعد: «والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم صناعة المنطق؛ والثالث كتاب سيبويه البصري في علم النحو العربي». انظر: (ص/ ٤٦، ٤٧).

(٢) «**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، لـ«أوليري»، (ص/ ٤٧).

(٣) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٤٦).

(٤) انظر كتاب: «**أرسطو**»، للدكتور عبد الرحمن بدوي؛ وقارن بما ورد في مادة «أرسطوطاليس» في «**دائرة المعارف الإسلامية**»، (الطبعة العربية) بقلم: ده بور، (٢/ ٥٨٣). ويضاف إلى هذه الكتب كتاب الشعر. انظر: ده بور، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

كالطبيعيات وما بعد الطبيعة والأخلاق، فقد كان هذا التأثير أعظم ما يكون في المنطق[1]، وكان هذا أحد الأسباب الرئيسة وراء التقدير الكبير الذي حظي به عند العرب[2]، ويرتبط بمنطق أرسطو تلك المقدمة المعروفة بإيساغوجي (Isagoge) التي كتبها فورفوريوس الصوري (من أتباع الأفلاطونية الحديثة)، وتُعدّ هذه المقدمة «أوضح المتون التي تتناول منطق أرسطو، وأضبطها من الناحية العملية»[٣]، وقد لَقِي منطق أرسطو شهرة واسعة بسبب عرضه المتميز في كتاب «إيساغوجي»[٤].

ولكن هناك مشكلة تتعلق بترجمة هذه الكتب المنطقية الثلاثة وإيساغوجي في عهد المنصور، وتنبع هذه المشكلة أصلًا من أنَّ «صاعدًا» ينسب ترجمة هذه الكتب إلى عبد الله بن المُقَفَّع، وقد حاكاه في ذلك ابن القِفْطِيّ، وابن أبي أُصَيْبِعَة[٥]، فهل كان ابنُ المقفع يعرف اليونانية وهو المشهور بترجماته من الفارسية؟ إنَّنا نلاحظ من ناحية أخرى أنَّ ابن النديم -وهو أسبق زمنيًّا (توفي سنة ٣٨٥هـ) وأوثق من الجميع- لا يُشير في حديثه عن عبد الله بن المقفع إلى أي ترجمات له من اليونانية؛ بل يذكر ما نصه: «لقد كان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، مضطلعًا باللغتين، فصيحًا بهما، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس»[٦]. غير أنَّ ابن النديم في نهاية حديثه عن مترجمي كتاب قاطيغورياس (أو المقولات) لأرسطو يقول: «ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع.. لجماعة؛ منهم ابن المقفع..»[٧]؛ وفي نهاية حديثه عن مترجمي كتاب باري إرمنياس (العبارة) يقول: «ومن المختصرات: حنين، إسحاق، ابن المقفع...»[٨]. وهذا النصان -كما هو واضح- لا يُثْبتان ترجمة ابن المقفع لهذين الكتابين؛ لأنهما يتحدثان عن مختصرات لا ترجمة؛ ثم إنَّ ابن النديم هنا يكتفي بذكر «ابن المقفع) بدلًا من ذكر اسمه الكامل «عبد الله بن المقفع».

ولقد ناقش الأستاذ بول كَروس (P- Kraus) هذه القضية مناقشة مستفيضة وانتهى إلى أنَّ ما ينسب إلى الأديب الشهير عبد الله بن المقفع من تراجم لبعض الكتب المنطقية اليونانية غير صحيح، وأن مترجم هذا الكتب هو ابنه محمد، وأنه قام

(1) B. Russell, History of western philosophy, P.206.

(2) Ibid., P.417.

(٣) «**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، لـ«أوليري»، (ص/ ٣٨).

(٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٤٨، ١٤٩)، و«**طبقات الأطباء**»، (٢/ ٣٤١)، (في ترجمة برزويه).

(٦) «**الفهرست**»، (ص/ ١٧٢).

(٧) المصدر نفسه، (ص/ ٣٤٨).

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

بهذه الترجمات ليحيى بن خالد البرمكي في عصر الخليفة المهدي أو الهادي[١]، ويعتمد (كروس) في استنتاجه هذا على ما تحتويه مخطوطة موجودة من مكتبة **كلية القديس يوسف** ببيروت من ترجمة عربية لإيساغوجي وقاطيغورياس، وباري إرمنياس، وأنالوطيقا؛ حيث تنص هذه المخطوطة على أن الذي قام بالترجمة محمد بن عبد الله بن المقفع[٢]، فإذا صحَّ هذا الاستنتاج -والغالب أنه صحيح- فإنَّه يصبح من غير الممكن القطع بأن ترجمات الكتب المنطقية المذكورة قد تمت في عصر المنصور؛ بل الأرجح أنها تمَّتْ في عصر المهدي أو الهادي[٣].

نأتي الآن إلى مشكلة أخرى من مشاكل الترجمة في عصر المنصور، وهي تدور حول مترجم كتاب «المِجسْطي» لبطليموس، فنحن نلاحظ أن **المسعودي** في النص السابق لم يحدد لنا اسم مترجم هذا الكتاب، ولكن بعض مصادرنا تذكر أنَّ المترجم هو «رَبَن»، وهو يهودي من طبرستان[٤]، ويعرف كذلك باسم «سهل الطبري»[٥]، و«رَبَن» -كما يصفه ابن القِفْطي- كان «حكيمًا طبيبًا عالمًا بالهندسة وأنواع الرياضة، وحلَّ كتبًا حكيمة من لغة إلى لغة أخرى»[٦]، ويقال إن هذه أول ترجمة لكتاب «المجسطي» إلى اللغة العربية[٧]، والحق أن هذه القضية في مصادرنا يحيط بها غموض شديد، بل إن حياة «ربن الطبري» نفسه يحيط بها مثل هذا الغموض، وقد جاء في ابن القفطي وابن أبي أُصَيبعة «أنَّ المترجمين لنسخ المجسطي المخرجة من لغة يونان ما ذكروا الشعاع ولا مطارحه، ولا يوجد ذلك إلا في النسخة التي ترجمها رَبَن المتطبِّب الطبري، ولم يوجد في النسخ القديمة مطرح شعاع بطليموس»[٨]، وفحوى هذا النص أن هناك ترجمات لكتاب المجسطي سبقت ترجمة رَبَن الطبري، فمتى حدثت هذه الترجمات؟ ومن الذين قاموا بها؟ لا نجد في مصادرنا المتاحة ما يُعينُنا على الإجابة عن ذلك؛ ولهذا يرى كاتب مادة

(١) انظر بحث الأستاذ بول كروس بعنوان: «**التراجم الأرسطاطالية المنسوبة إلى ابن المقفع**»، وهو منشور في كتاب: «**التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**»، للدكتور عبد الرحمن بدوي، (ص/ ١١٧).

(٢) **المرجع السابق**، (ص/ ١٠٦)، وقد أخذ بهذا الرأي الأستاذ فالتزر، كاتب مادة «أرسطوطاليس» في «**دائرة المعارف الإسلامية**»، (الطبعة العربية)، (٢/ ٥٨٧، ٥٨٨).

(٣) يطرح الأستاذ **أحمد أمين** احتمالاً مؤداه أن عبد الله بن المقفع ترجم هذه الكتب عن الفارسية، ولكن ليس هناك دليل تاريخي يؤكد هذا. [انظر: «**ضحى الإسلام**»، (١/ ٢٧١)].

(٤) «**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ١٢٨).

(٥) المصدر نفسه، (ص/ ١٥٥)، وقد ذكر ابن القفطي ذلك في ترجمة: «علي بن رَبَن الطبري»، وقد زاد عن أبيه شهرةً، وكان له شأن عظيم في خلافة **المعتصم** إلى **المتوكل**، وأسلم على يد **المتوكل**.

(٦) المصدر نفسه، (ص/ ١٢٨).

(٧) انظر: «**الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية**»، للدكتور توفيق الطويل، (ص/ ١٠٨).

(٨) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٢٨)، و«**طبقات الأطباء**»، (٢/ ٣٤٢).

«بطليموس» في **دائرة المعارف الإسلامية** أنَّ الناقل الأول لكتاب **المجسطي** ليس سهلًا الطبري (وهو رَبَن) كما يزعم البعض، بل إن الناقل الأول لهذا الكتاب مجهول[١]، ومن ثمَّ ينبغي أن نتردد في قبول ما يذكره «فيليب حتّى» من أنَّ أول محاولة لترجمة المجسطي تمت في زمان يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد[٢]، وكذلك ما يقرره «ديلاسي أوليري» من أنَّ «ترجمة الماجِسطي وضعها سهل بن ربان الطبري... ويُقال إنَّ سهلًا هذا قد ذهب إلى بغداد في أيام هارون الرشيد، وأنه قد وضع الترجمة من أجله»[٣]، فنلاحظ -أولًا- أنَّ سهلًا ليس هو ابن ربان، بل هو ربان نفسه؛ أي: (رَبَن)؛ ونلاحظ -ثانيًا- أنَّ قيامه بترجمة المجسطي في عهد الرشيد يعوزه الدليل التاريخي المُقْنِع.

بقيت بعض نقاط أخرى تثير قدرًا من التساؤل فيما يتصل بالترجمة في عصر المنصور، فمن هو مترجم كتاب إقليدس في أصول الهندسة؟ وهل أرسل الإمبراطور البيزنطي بعض الكتب اليونانية إلى المنصور مترجمةً كما يوحي نص **ابن خلدون** السابق؟ وما الأعمال الطبية المحددة التي قام كلٌّ من: جورجيس بنبختيشوع، والبطريق بترجمتها للمنصور؟ ومرةً أخرى نقول إنَّ مصادرنا لا تعيننا كثيرًا على الإجابة عن مثل هذه الأسئلة. لقد تحدثنا حتى الآن عن القضايا المتعلقة بنشأة الترجمة في عصر المنصور، ونود أن نشير هنا إلى أن عصر خليفتيه محمد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ = ٧٧٥-٧٨٥م) وموسى الهادي (١٦٩- ١٧٠هـ = ٧٨٥- ٧٨٦م) لم يترك بصماتٍ واضحة في هذا المجال، وقد شُغِل المهدي بالعديد من الأمور التي يأتي على رأسها حربه ضد الزنادقة، أما الهادي فقد كانت مدة خلافته أضيق من أن تتسع للقيام بمشروعاتٍ ذات بال.

ومع أنَّ مصادرنا لا تقدِّم لنا معلوماتٍ كافية فيما يتعلق بحركة الترجمة من التراث اليوناني في عصر **المهدي والهادي** فقد يجوز لنا أن نعتبر هذا العصر امتدادًا لعصر المنصور في ذلك الجانب؛ ذلك أنَّه من الصعب حقًّا أن نتصور أنَّ هذا المشروع العظيم الذي بدأه المنصور توقَّف فجأةً بوفاته، وقد ناقشنا منذ قليل قصة ترجمة كتب أرسطو المنطقية الثلاثة، ومعها مقدمة فورفوريوس المعروفة باسم إيساغوجي، التي يقال إنها تمت على يد عبد الله بن المقفع في خلافة المنصور، ورجحنا الرأي القائل بأنها تمت على يد محمد بن عبد الله

---

(١) مادة «بطليموس» في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة العربية) بقلم: بلسنر، (٧/ ٣٢٠، ٣٢١).

(2) Hitti, History of the Arabs, P.315.

(٣) «**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، (ص/ ٢٣٨).

بـن المقفـع في خلافـة **المهـدي** أو الهـادي، وتُحَدِّثُنـا بعـض المصـادر عـن **توفيل بـن توما الرهـاوي** رئيـس الفلكيِّـين في بلاط المهـدي[١]، الـذي يقـال إنـه كان لـه بعـض الإسـهام في حركـة الترجمـة[٢]، ولكـنَّ المعلومـات القليلـة التـي تقدمهـا لنـا مصادرنـا عـن حركـة الترجمـة في خلافـة **المهـدي** والهـادي تجعلنـا نسـتنتج أنهـا لـم تكـن عـلى النشـاط نفسـه الـذي اتسـمت بـه في خلافـة المنصـور. وقبـل أن نمـضي لمناقشـة حركـة الترجمـة مـن الـتراث اليونـاني في دور آخـر مـن أدوارهـا ينبغـي أن نتوقـف هنـا قليـلًا لاسـتخلاص عـدد مـن الملاحظـات.

بعض الملاحظات الأساسية على حركة الترجمة من التراث اليوناني في دور النشأة:

(١) اتسـمت حركـة الترجمـة في تلـك الفـترة بمـا تتسـم بـه المحـاولات الأوليـة في العـادة مـن أوجـه القصـور، فلـم يكـن فـنُّ الترجمـة عندئـذٍ قـد اسـتوى عـلى عـوده؛ مـن هنـا جـاءت تلـك الترجـمات المبكـرة -بصفـة عامـة- خاليـة مـن الدقـة، تعوزهـا الأسـاليب الصارمـة في نقـل النـص الأصـلي نقـلًا أمينًـا وافيًـا؛ ولهـذا كان مـن الـضروري في مراحـل تاليـة أن يُعـاد النظـر في كل هـذه الترجـمات: إمـا بالتصحيـح وإمـا باسـتئناف الترجمـة.

(٢) رغـم مـا شـاب حركـة الترجمـة خـلال تلـك الفـترة مـن أوجـه القصـور، فإنـه لا يمكننـا أن ننكـر خطـورة الـدور الـذي قامـت بـه في وضـع اللبنـة الأولى في هـذا الـصرح الشـامخ، والحـقُّ أنَّ التطـور الهائـل الـذي أحرزتـه حركـة الترجمـة في العصـور اللاحقـة لا يمكـن النظـر إليـه بمعـزل عـن تلـك الفـترة التـي نتحـدث عنهـا، وهـذا مـا يشـير إليـه **ابـن خلـدون** في النـص الـذي اقتبسـناه آنفًـا؛ حيـث يقـول -بعـد حديثـه عن بعـض الكتب التـي تُرجمـت في ذلـك العهـد-: «فقرأهـا المسـلمون واطَّلعـوا عـلى مـا فيهـا، وازدادوا حرصًـا عـلى الظفـر بمـا بَقِـيَ منهـا»[٣].

(٣) كان نشـاط الترجمـة مـن اليونانيـة في فترتنـا تلـك محـدودًا عـن دائرتـه؛ حيـث اقتـصر عـلى مجـالاتٍ معينـةٍ مـن المعـارف العمليـة لـو صح التعبـير، كالفلك والهندسـة والطـب، ولم تتسـع دائرتـه لتشـمل كثـيرًا مـن المعـارف النظريـة العامـة كالفلسـفة والأخـلاق والسياسـة والإلهيـات وغيرهـا. (٤) مـع أنَّ الخلافـة العباسـية قامـت في مهـد

(١) انظـر: «**أخبـار الحكـماء**»، لابـن القفطـي، (ص/ ٧٧)، و«**مختـصر الـدول**»، لابـن العـبري، (ص/ ١٢٧).

(٢) يقـال إنـه ترجـم مـن السريانيـة كتابًـا لجالينـوس، انظـر حـول ذلـك: «**المأمـون الخليفـة العـالم**» للدكتـور محمـد مصطفـى هـدارة، (ص/ ١١٦). هـذا؛ وقـد ترجـم الكثـير مـن كتـب الـتراث اليونـاني إلى العربيـة عـن طريـق السريانيـة، ثـم أعيـدت ترجمـة معظمـه إلى العربيـة عـن طريـق اليونانيـة مبـاشرة.

(٣) «**المقدمة**»، (ص/ ٤٨٠).

الحضارة الفارسية فإن خلفاء تلك الفترة -وخاصة المنصور- لم يعرفوا حدودًا فاصلة بين حضارات الشعوب، بل يمكن القول إنَّ العباسيِّين الأوائل أظهروا تقديرًا للتراث اليوناني لا يُدَانِيه تقديرهم لأيّ تراث آخر، ولم يتردد الخليفة أبو جعفر المنصور في الاتصال المباشر بالإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس طالبًا منه أن يمد إليه يد العون الثقافي بإرسال عدد من المصادر اليونانية الأساسية التي يريدها، وهو ما استجاب له الإمبراطور، وقد حدث هذا رغم الاحتكاك الحربي شبه المتواصل بين القوتين خلال تلك الفترة.

بل يمكن القول إنَّ العباسيِّين الأوائل أظهروا تقديرًا للتراث اليوناني لا يُدَانِيه تقديرهم لأيّ تراث آخر، ولم يتردد الخليفة أبو جعفر المنصور في الاتصال المباشر بالإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس طالبًا منه أن يمد إليه يد العون الثقافي بإرسال عدد من المصادر اليونانية الأساسية التي يريدها، وهو ما استجاب له الإمبراطور.

ثانيا- دور النمو والاتساع (في عصر الرشيد):

يحتل عصر هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ = ٧٨٦-٨٠٩م) مكانةً بارزة شديدة الخصوصية في تاريخ الخلافة العباسية؛ فهو عصر تأكدت فيه هيبة الخلافة على المستوى الخارجي، وترعرعت فيه حياة المجتمع بكل مظاهرها على المستوى الداخلي، وقد كان من الطبيعي أن يكون لحركة الترجمة نصيب من هذه الروح التي سرت في كيان المجتمع كله، فإذا بها تخطو خطواتٍ شاسعةً إلى الأمام. ونرصد هنا عددًا من الظواهر الأساسية التي ارتبطت بحركة الترجمة من التراث اليوناني خلال تلك المرحلة، وكانت وراء نُمُوِّها واتساعها، ويمكننا تلخيص هذه الظواهر فيما يأتي:

(١) ظهور جيل من المترجمين الأكْفَاء الذين مهَّدوا للوثبة الهائلة التي شهدتها حركة الترجمة في المرحلة اللاحقة، ولا مجال للحديث التفصيلي هنا عن كل مترجمي تلك المرحلة، ولكننا سنتناول أبرزهم آخذين في الاعتبار أنَّ الكثيرين منهم ظلوا يمارسون نشاطهم في المرحلة التالية، ولكنهم يدينون في تكوينهم للمرحلة التي نتحدث عنها.

ويقف على رأس هؤلاء جميعًا **يوحنا بن ماسويه** (المتوفى سنة ٢٤٣هـ = ٨٥٧م)[(١)]، وهو سرياني من أعلام مدرسة جنديسابور الطِّبِّية، وحلَّ من الرشيد بمكان مكين، يقول

(١) «**طبقات الأطباء**»، لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ١٣٦)، وكانت وفاته في خلافة المتوكل.

عنه **ابن القِفْطي:** «ولَّاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسَبَوا سَبْيَهَا، ووضعه أمينًا على الترجمة ورتَّب له كُتَّابًا حُذَّاقًا يكتبون بين يديه، وخدم الرشيدَ والأمينَ والمأمونَ ومَنْ بعدهم من الخلفاء إلى أيام المتوكل، وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئًا من أطعمتهم إلا بحضرته»[١]، ونفهم من هذا النص أنَّ يوحنا -بحكم تخصصه في الطب- اهتم بترجمة الكتب الطبية اليونانية، هذا فضلًا عن أنه كان المشرف العام على نشاط الترجمة في عصر الرشيد، والواضح أنَّ يوحنا كان من أبرز أطباء عصره، واستطاع أن يحقق من مهنة الطب ثروةً طائلة[٢]، وكان يوحنا أستاذًا للطبيب المشهور، شيخ المترجمين: حنين بن إسحاق[٣].

ومن أشهر مترجمي التراث اليوناني في تلك الفترة أيضًا: **الحجاج بن يوسف بن مطر** الذي ارتبط اسمه ببعض الترجمات التي وضعت لكتاب من أهم كتب التراث اليونان، وهو كتاب «أصول الهندسة» لإقليدس، يقول ابن النديم في عرض حديثه عن هذا الكتاب: «نقله الحجاج بن يوسف بن مطر نقلين: أحدهما يعرف بالهاروني، ونقلًا ثانيًا وهو المأموني... وعليه يُعَوَّل»[٤]. فالنقل الأول -وهو الهاروني- تم في عصر هارون الرشيد، ثم أعاد الحجاج نقله (أي ترجمته) في عصر المأمون، ويُنْسَب إلى الحجاج أيضًا أنه أحد الذين ترجموا كتاب «المجسطي» لبطليموس[٥].

ومن هؤلاء المترجمين كذلك: **عمر بن حفص بن الفرُّخان الطبري** الذي يقول عنه **ابن القفطي** إنه أحد رؤساء التراجمة والمتحققين بعلم حركات النجوم وأحكامها... وكان منقطعًا إلى يحيى بن خالد بن برمك (أي في زمان الرشيد) ثم انقطع إلى الفضل بن سهل (أي في زمان المأمون)[٦]. ولكن الجدير بالملاحظة أن ابن النديم لا يتحدث عن أي دور قام به عمر بن الفرخان في الترجمة، بل يتحدث عن بعض مؤلفاته ويذكر فوق ذلك أنه فسَّر كتاب «الأربعة» في أحكام النجوم لبطليموس[٧]. ويوجد غير هؤلاء ممن هم أقل شهرة؛ مثل **أسطاث**، و«كان من النقلة

(١) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وانظر أيضًا: «**طبقات الأطباء**»، لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ١٢٤).

(٢) «**طبقات الأطباء**»، لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ١٢٣).

(٣) «**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ١١٧).

(٤) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧١).

(٥) المصدر نفسه، (ص/ ٣٧٤). ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى: «**تاريخ الأدب العربي**» لبروكلمان، (٤/ ٩٢). هذا؛ وقد أشرنا فيما مضى إلى أنَّ كتاب «**أصول الهندسة**» لإقليدس، وكتاب «**المجسطي**» لبطليموس تمت ترجمتهما في عصر المنصور، أما كتاب إقليدس فلا يعرف مترجمه حينئذ؛ وأما كتاب بطليموس فيقال إن مترجمه في عصر المنصور هو: رَبَن الطبري اليهودي.

(٦) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٦١).

(٧) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٨١).

المتوسطين» كما يصفه ابن أبي أصيبعة[١]، وقد استعان به يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد في ترجمة بعض الكتب اليونانية[٢]، ونقرأ أيضًا عن: **عبد يشوع بن بهريز** الذي «كان صديقًا لجبرائيل بن **بختيشوع** (طبيب الرشيد)، وناقلًا له»[٣]. ولكن الذي ينبغي أن نلاحظه في هذا السياق أن مصادرنا لا تلقي أضواء كافية على مترجمي تلك الفترة.

(٢) والظاهرة الثانية التي نلاحظها ونحن نتناول حركة الترجمة من التراث اليوناني في عصر الرشيد= تتمثل في الاهتمام الواضح بالحصول على المخطوطات اليونانية من مظانِّها، وما ارتبط بذلك من ظهور نواة **بيت الحكمة:** لقد روينا عن ابن القفطي منذ قليل أن الرشيد ولَّى **يوحَّنا بن ماسويه** ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها المسلمون بأنقرة وعمورية، وغيرهما من البلاد التي كان المسلمون يفتتحونها في أرض الروم[٤]، على أنَّ الكتب اليونانية -طبية كانت أم غير ذلك- لم تكن موجودة في أرض الروم فقط، بل كانت موجودة كذلك في مراكز الثقافة اليونانية المنتشرة في دولة الخلافة العباسية، وأهمها: جنديسابور، والرُّها، ونَصِيبين، وحرَّان، وأنطاكية، والإسكندرية، وهي المراكز التي أبرزْنا دورها في صدر هذا البحث، وإذا كان الرشيد حريصًا على تحصيل الكتب اليونانية من بلاد الروم خلال الغزوات الإسلامية فمن المنطقي ألا يتهاون في تحصيل الكتب الموجودة فعلًا في مراكز الثقافة اليونانية المنتشرة في دولة الخلافة، وهكذا تجمَّع للرشيد مقدار كبير من الكتب التي كان حريصًا على ألا تمتد إليها يد الضياع أو العبث، فأنشأ لها **بيت الحكمة أو «خزانة الحكمة»**؛ وهو ما يمكن اعتباره نواة **بيت الحكمة** في عصر المأمون وخلفائه، وقد كان من الطبيعي ألا تقتصر خزانة حكمة الرشيد على الكتب اليونانية، بل اتسعت لتشمل الكتب الفارسية والهندية وغيرها؛ غير أنَّه من الواضح أن الكتب اليونانية كانت تمثل مادتها الأساسية، ولم يتوانَ الرشيد في تعيين خازن أو مسؤول عن بيت الحكمة، فاختار لهذه المهمة **الفضل بن نَوْبَخْت،** وهو فارسي الأصل، يذكر **ابن النديم** وغيره في ترجمة **ابن نوبخت** أنَّ الرشيد «ولَّاه القيام بخزانة كتب الحكمة»[٥]، وقد

(١) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٧٣).

(٢) «**تاريخ الأدب العربي**»، لبروكلمان، (٤/ ٩٣).

(٣) «**طبقات الأطباء**» لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ١٧٤، ١٧٥).

(٤) انظر:)ص/ ١٤)، فيما سبق.

(٥) «**الفهرست**» لابن النديم، (ص/ ٣٨٢)، و«**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ١٦٨، ١٦٩). والاقتباس من: ابن القفطي. وفي حديث **ابن النديم** عن كتاب «**المجسطي**» لبطليموس يذكر أن يحيى بن خالد البرمكي عُنِي بتفسيره وإخراجه إلى العربية، وكان من بين الذين ندبهم لتفسيره: أبو حسان، وسلم صاحب بيت الحكمة. «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧٤). والمعروف أن يحيى بن خالد البرمكي لم يعاصر خلافة المأمون.

روينا فيما سبق أن الرشيد عيَّن يوحنا بن ماسويه «أمينًا على الترجمة ورتَّب له كُتَّابًا حُذَّاقًا يكتبون بين يديه»[١]. ولا شك أنَّ ذلك يمثل صورةً مصغرة لما ستكون عليه الأمور في عصر المأمون؛ حيث ستتعدد وظائف بيت الحكمة وتتسع أنشطته.

نواة بيت الحكمة -إذن- وُضِعت في عهد الرشيد، وقام بيت الحكمة منذ ذلك الحين بدوره البارز في الترجمة، وفي ضوء ذلك لا يصبح هناك موضع لاختلاف آراء الباحثين حول هذه المسألة؛ حيث يرى البعض أنَّ بيت الحكمة أنشئ في عهد الرشيد[٢]، ويرى البعض الآخر أنه أنشئ في عهد المأمون[٣]، فكلا الرأيين صواب من وجه؛ فإذا أردنا ببيت الحكمة صورته الأولى البسيطة فقد أنشئ في عهد الرشيد، وإذا أردنا به صورته المتطورة التي ترقى به إلى مرتبة المؤسسة العلمية الكبرى متكاملة الوظائف -كما سوف نوضح- فقد أنشئ في عهد المأمون.

(٣) أما الظاهرة الثالثة فتتمثل في ذلك **الدور الملحوظ الذي قامت به بعض الأسر البارزة في رعاية حركة الترجمة من التراث اليوناني**، إلى جانب الدور الرسمي. وتتميز في هذا المجال أسرتان:

(أ) أسرة البرامكة.
(ب) أسرة بختيشوع.

(أ) أما أسرة البرامكة: فقد ارتبط ظهورها بظهور الخلافة العباسية؛ فقد تولى خالد بن برمك الوزارة لأبي العباس السفاح بعد مقتل أبي سلمة الخلال[٤]، وعندما تولى المنصور أقر خالدًا على وزارته فبقي سنة وشهورًا، ثم ندبه لإحدى المهام، وتوفي خالد في سنة (١٦٣هـ)، أو سنة (١٦٥هـ)؛ أي في خلافة المهدي[٥]، وتمتع ابنه يحيى بمكانة عظيمة لدى الخليفة المهدي؛ فعهد إليه **المهدي** بالإشراف على تربية ابنه هارون، وعندما تولى هارون عرف حق يحيى ففوض إليه تدبير الأمور في مملكته[٦].

(١) انظر: (ص/ ١٤)، فيما سبق.

(٢) انظر على سبيل المثال: «**تاريخ الإسلام السياسي**» للدكتور حسن إبراهيم حسن، (٢/ ٢٨٤)، و«**المأمون: الخليفة العالم**»، للدكتور محمد مصطفى هدارة، (ص/ ١١٩)، و«**التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**»، للدكتور أحمد شلبي، (٣/ ٢٢٧)، (هامش/ ١)؛ «**عصر المأمون**» لأحمد فريد رفاعي، (١/ ٣٧٥)، مادة «بيت الحكمة» في «**دائرة المعارف الإسلامية**»، (الطبعة العربية) بقلم: سوردل، (٨/ ٤٩٨)، و«**الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية**»، للدكتور توفيق الطويل، (ص/ ١٥٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: «**الفكر العربي ومكانه في التاريخ**»، لديلاسي أوليري، (ص/ ١٢٦)؛ و«**تاريخ الأدب العربي**»، لبروكلمان، (٤/ ٩١)، و«**شمس الله على الغرب**» لسيجريد هونكه، (ص/ ٨١)، و«**الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم**»، للدكتور إبراهيم أحمد العدوي، (ص/ ١٥٩)، «**من الإسكندرية إلى بغداد**» لـ«مايرهوف» في كتاب «**التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**»، للدكتور عبد الرحمن بدوي، (ص/ ٥٨). وانظر أيضًا: (Hitti, History of the Arabs, P٣١٠).

(٤) «**وفيات الأعيان**»، لابن خَلِّكان، (١/ ٣٣٢)، (٦/ ٢١٩، ٢٢٠).

(٥) المصدر نفسه، (١/ ٣٣٢).

(٦) المصدر نفسه، (٦/ ٢٢١).

وكان ليحيى أربعة أبناء هم: الفضل، وجعفر، وموسى، ومحمد، ورغم كفايتهم جميعًا فقد تميز منهم بصفة خاصة: الفضل، وجعفر، وكان جعفر أعلى الجميع منزلةً عند الرشيد[١].

يصف **ابن الطقطقي** أسرة البرامكة بقوله إنها «كانت غُرَّةً في جبهة الدهر، وتاجًا على مفرق العصر.. فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرةً، والبحور زاخرةً، والسيول دافعةً، والغيوث ماطرةً، أسواق الآداب عندهم نافقة، ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية، والدنيا في أيامهم عامرة، وأبهة الملك ظاهرة»[٢]. ولا شك أنَّ من أبرز ما يسجله التاريخ للبرامكة -بجانب فضائلهم العديدة- إسهامهم في رعاية الحركة العلمية التي كانت تزخر بها دولة الخلافة العباسية، وتجلَّت في أروع صورها في عهد الرشيد وخلفائه المباشرين، لقد ظل البرامكة طوال سبعة عشر عامًا، هي مدة نفوذهم في دولة الرشيد، حتى نكبتهم في سنة (١٨٧هـ = ٨٠٣م)[٣] - ظلوا عنصرًا أساسيًّا في الحياة العامة بكل أنشطتها ومنها هذا النشاط الثقافي الهائل، يقول **المسعودي:** «وقد كان يحيى بن خالد ذا

ولا شك أنَّ من أبرز ما يسجله التاريخ للبرامكة -بجانب فضائلهم العديدة- إسهامهم في رعاية الحركة العلمية التي كانت تزخر بها دولة الخلافة العباسية، وتجلَّت في أروع صورها في عهد الرشيد وخلفائه المباشرين.

علم ومعرفة وبحث ونظر، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل الآراء والنحل»[٤]، ولما كانت حركة الترجمة مُكوِّنًا أساسيًّا في تلك الحركة العلمية الزاخرة فقد أسهم البرامكة فيها بنصيب لا يُنْكَر عن طريق رعاية المترجمين، وإدْرَار الأرزاق عليهم، واقتراح ما يترجمونه من كتب أساسية، أو يراجعونه من ترجمات غير دقيقة، ونحن لا نذهب إلى الحدِّ الذي ذهب إليه الأستاذ «جميل نخلة المدوّر» حين ذكر أنَّ الرشيد صرف همته «إلى ترجمة كتب الفلاسفة من يونان وغيرهم بعد أن رأى جعفرًا وزيره يبتاع من صحفهم ما يأمر التراجمة بتعريبه، ثم يعطيهم زنة الكتاب المعرَّب ذهبًا[٥]؛ لأن سوق العلم نافقة عند البرامكة.. وهم الذين استنهضوا همم العلماء إلى تعريب صحف الأعاجم»[٦]،

(١) عن مكانة جعفر البرمكي عند الرشيد ارجع إلى: «**وفيات الأعيان**»، لابن خلكان، (١/ ٣٢٨، ٣٣٢).

(٢) «**الفخري في الآداب السلطانية**»، (ص/ ٢٣٥).

(٣) «**تاريخ الطبري**»، (٨/ ٣٠٠).

(٤) «**مروج الذهب**»، (٣/ ٣٧٩). وانظر حول ذلك أيضًا: «**حضارة الإسلام**» لجوستاف جرونيباوم، (ص/ ٧٨).

(٥) ينسب هذا للخليفة المأمون مع حنين بن إسحاق. انظر: «**طبقات الأطباء**» لابن أبي أصيبعة، (٢/ ١٤٣).

(٦) «**حضارة الإسلام في دار السلام**»، (ص/ ١٦٠).

نحن لا نذهب هذا المذهب؛ ولكننا نقول إن نشاط البرامكة في هذا الجانب كان قريبًا من نشاط الخليفة نفسه.

وقد أشرنا فيما مضى إلى أنَّ **عمر بن حفص بن الفَرُّخان الطبري** (الذي يعده **صاعد الأندلسي** أحد حُذَّاق التراجمة في الإسلام)[١] كان منقطعًا إلى يحيى بن خالد البرمكي[٢]، وحين يتحدث ابن النديم عن كتاب «المجسطي» لبطليموس يذكر أنَّ «أول من عُنِيَ بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك، ففسره له جماعة، فلم يتقنوه ولم يرضَ، فندب لتفسيره أبا حسان، وسلم [كذا] صاحب بيت الحكمة، فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النَّقَلة المجوِّدين، فاختبرا نقلهم وأخَذَا بأفصحه»[٣].

والذي نستنتجه من كلام ابن النديم أنَّ يحيى البرمكي لم يكن يكتفي بتشجيع المترجمين على الترجمة؛ بل إنه كان يفحص ما ترجموا بعين الناقد، فإن لم يرضَ به طلب إعادة الترجمة، وكان حريصًا على تفسير الترجمة وشرحها تيسيرًا للفهم، ثم إنه كان يوظف لهذا الغرض جماعة من مهرَة المترجمين والعلماء، وممن يذكرهم ابن النديم في هذا الصدد «سلام الأبرش» الذي يصفه بأنه «من النقلة القدماء في أيام البرامكة»[٤]، ويذكر ابن النديم أيضًا أنَّ اثنين من علماء التراث اليوناني يقال لهما: أيوب، وسمعان «فسَّرا زيج بطليموس لمحمد بن يحيى بن خالد بن برمك، وغير ذلك من الكتب القديمة»[٥]. فالخلاصة أنَّ أسرة البرامكة في عصر الرشيد كان لها إسهام واضح في هذه الحركة العلمية من حيث توظيف العلماء لترجمة الكتب اليونانية المهمة وتفسيرها، ثم بَذْلُهم الأموال الجزيلة لهذا الغرض.

ومع ذلك، فإننا لا نوافق على ما يراه **أوليري** من «أنَّ العمل في الترجمة العلمية قد بدأ في عهد هارون الرشيد بتشجيع الوزير جعفر بن برمك»[٦]. صحيحٌ أنَّ جعفرًا كان له إسهامه في تلك الحركة كغيره من البرامكة، ولكن هذا لا يصل بنا إلى حد الاعتقاد بأنه كان وراء جهود

(١) «**طبقات الأمم**»، (ص/ ٥٦).

(٢) انظر: (ص/ ١٥)، فيما سبق.

(٣) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧٤). وقد ذكرنا قبل ذلك أنَّ كتاب «**المجسطي**» كان من بين الكتب التي ترجمت في خلافة المنصور. فلعل **ابن النديم** يتحدث هنا عن الترجمة العلمية الصحيحة المفسرة لهذا الكتاب؛ فهو بهذا المفهوم يَعُدُّ يحيى البرمكي أول من صنع ذلك.

(٤) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٤١). ومن بين ما نقله سلام الأبرش كتاب «السماع الطبيعي» لأرسطو، وهو من الطبيعيات. المصدر نفسه والصفحة نفسها. وانظر أيضًا: «**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ٢٨).

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها، وقد جاء اسم محمد بن يحيى بن خالد بن برمك في نص **ابن النديم** هكذا: محمد بن خالد بن يحيى بن برمك، وهذا خطأ ظاهر، والصواب ما ذكرنا.

(٦) «**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، (ص/ ٢٤١).

الرشيد في هذا المجال، والحق أنَّ جهود الرشيد هنا لم تكن إلا حلقة في سلسلة التطور الطبيعي لتلك الحركة التي بدأها المنصور، ثم وصل بها المأمون وخلفاؤه المباشرون إلى ذروتها.

(ب) وأما أسرة بختيشوع -وهي الأسرة الثانية التي كان لها دورها في رعاية حركة الترجمة من التراث اليوناني في عصر الرشيد- فقد ظهرت كذلك في صدر الخلافة العباسية، أو بالتحديد في خلافة أبي جعفر المنصور، وأول أعضاء هذه الأسرة ظهورًا في بلاط الخلافة هو جورجيس بن بختيشوع، الذي كان رئيس أطباء جنديسابور، تلك المدينة الفارسية التي قامت برعاية التراث اليوناني -وخاصة الطب- على يد السريان النساطرة كما شرحنا ذلك في موضعه، وقد استدعى **المنصور** جورجيس بن بختيشوع إلى بلاطه في بغداد عندما ألمت به وعكة صحية، ووثق به وأكرمه وقرَّبه[١]، ثم استدعى **المهديُّ** ابنَه «بختيشوع بن جورجيس» من نيسابور لعلاج موسى **الهادي** بن المهدي، ثم جدَّد الرشيد صلته به وعَلَت منزلته لديه، وذلك بفضل مهارته وشهادة يحيى بن خالد البرمكي له، وعينه الرشيد رئيس أطباء البلاد[٢].

(١) راجع التفاصيل في «**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ١١٠، ١١١).

(٢) المصدر نفسه، (ص/ ٧١، ٧٢).

على أنَّ ألمع نجوم أسرة **بختيشوع** دون منازع هو: جبرائيل بن بختيشوع (بن جورجيس ابن بختيشوع)، الذي اتصل بالرشيد منذ سنة (١٧٥هـ)، ونجح في علاج وزيره جعفر بن يحيى البرمكي «فأحبه جعفر مثل نفسه، وكان لا يصبر عنه ساعة، ومعه يأكل ويشرب»[٣]، وتمتع جبرائيل بنفس تلك المكانة لدى الرشيد؛ وهذا ما يوضحه **ابن القفطي** في قوله: «وكان محله يقوى ويعلُو في كل وقت، حتى إن الرشيد قال لأصحابه: كل من كانت له حاجة إليّ فليخاطب فيها جبرائيل لأني أفعل كل ما سَأَلَنِيه ويطلبه مني»[٤]، وقد خدم جبرائيل بعد وفاة الرشيد في بلاط الأمين والمأمون، وتوفي في خلافة المأمون[٥]، فحلَّ ابنُه «بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع» محلَّه في بلاط الخلفاء، واستمر في خدمتهم متمتعًا بتقديرهم حتى توفي في سنة (٢٥٦هـ = ٨٧٠م)، في خلافة المهتدى بالله[٦]، ويمكن أن نعدّ «بختيشوع بن جبرائيل» هذا آخر أعلام هذه الأسرة السريانية النسطورية ممَّن خدموا خلفاء بني العباس، ولكننا مع ذلك نقرأ عن اثنين آخرين من أطباء

(٣) المصدر نفسه، (ص/ ٩٤).

(٤) المصدر نفسه، (ص/ ٩٥). وانظر أيضًا: «**طبقات الأطباء**» لابن أبي أصيبعة، (٢/ ٤٤).

(٥) «**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ٩٩).

(٦) المصدر نفسه، (ص/ ٧٣).

هـذه الأسرة، وأمـا أولهـما فهـو: «**جبرائيـل بـن عبيـد اللـه بـن بختيشـوع**»، وكانـت لـه مكانتـه لـدى البويهيِّـين، وتـوفي في سـنة (٣٩٦هـ = ١٠٠٦م)[١]، وأمـا الثـاني فهـو ابنـه: «**عبيـد اللـه بـن جبرائيـل**» المتـوفى بـ«ميافارقـين» في حـوالي منتصـف القـرن الخامـس الهجـري (الحادي عشر الميـلادي)[٢]. فهـذه لمحـة سريعة عن أسرة **بختيشـوع**، تلك الأسرة الطبيـة العريقـة التـي مثلَّـت الطـب اليونـاني عـلى أكمـل صـورة، ونقلتـه إلى دولـة الخلافـة نظرًا وتطبيقًا، ونسـتنتج ممَّا عرضناه الآن أنَّ التأثـير الحقيقـي لهـذه الأسرة بـدأ في عـصر هـارون الرشـيد حيـث ترعـرع في هـذا العـصر أبـرز عضويـن مـن أعضـاء أسرة بختيشـوع، وهما: **بختيشـوع بـن جورجيس**، وابنـه: **جبرائيـل بـن بختيشـوع**، ورغـم أنَّهـما لـم يُسـهما إسـهامًا مبـاشرًا في حركـة الترجمة مـن الـتراث اليونـاني فـلا شـك أنَّهـما قامـا بدورهـما في تشـجيع تلـك الحركـة، ولا سـيما جبرائيـل الـذي قـام بأبـرز الدورَيـن في ذلـك؛ لقـد أوردنا سـابقًا مـا يقوله «**أوليري**» من أنَّ العمـل في الترجمـة العلميـة قـد بـدأ في عهـد **الرشـيد** بتشـجيع مـن **جعفـر البرمـكي**، وهـو الـرأي الـذي ناقشـناه في موضعـه، ونُـورِد في هـذا السـياق أنَّ «**أوليري**» يربـط بـين الـدور الـذي قـام بـه **جعفـر** في تشـجيع الترجمة من الـتراث اليوناني، وبين صلتـه العميقة **بجبرائيل بـن بختيشـوع** الـذي كان شـديد الحماسـة لهـذه الحركـة[٣]، والحـق أنَّـه ليـس هنـاك ما يمنـع مـن أن تكون صلـة جبرائيـل بجعفر قد زادت الأخـير شـغفًا بترجمـة الكتـب الطبيـة، خاصـة من اليونانيـة إلى العربية، أما تشـجيع **جبرائيـل** للترجمـة والمترجمـين في تلـك الفـترة فنحـن نسـتأنس لـه بما سـوف نـراه في مرحلة تاليـة مـن تقديـره العميق لحنين بن إسـحاق شـيخ المترجمـين في عـصر الترجمـة ككل، ومن اسـتعانته بـه في ترجمـة بعض الكتـب الطبية إلى العربية[٤]، وهو موقف لا شـك أنَّ جبرائيل التـزم بـه طـوال حياتـه العملية.

(٤) نـأتي إلى الظاهـرة الرابعـة والأخـيرة التـي نلاحظهـا في رصدنـا لتطـور حركـة الترجمـة مـن الـتراث اليونـاني في عـصر الرشـيد، وهـي تتمثـل في: **الاهتـمام بتنقيـح الترجـمات السـابقة أو إعـادة ترجمتهـا**، ولا نجـد مـن مصادرنـا للأسـف إلا إشـارات سريعـة إلى هـذه المسـألة. والسـبب في ذلـك أن التفاصيـل الدقيقـة لأسـماء الكتـب اليونانيـة التـي تُرْجِمـت في عـصر المنصـور غـير متاحة؛ ومـن هنـا يتعـذر عـلى الباحـث أن يعـرف تمامًـا مـا نقـح منهـا في عـصر الرشـيد أو

(١) المصدر نفسه، (ص/ ١٠٦).

(٢) «**طبقـات الأطبـاء**»، لابـن أبي أُصَيبعـة، (٢/ ٧٨). وانظـر أيضًـا: مـادة «بختيشـوع» في «**دائـرة المعـارف الإسـلامية**»، (الطبعـة العربيـة)، بقلـم: بروكلـمان، (٦/ ٣٨٤).

(٣) «**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، (ص/ ٢٤٠).

(٤) «**أخبـار الحكـماء**»، لابـن القفطـي، (ص/ ١٢٠)، و«**طبقـات الأطبـاء**»، لابـن أبي أصيبعـة، (٢/ ١٤١).

أعيدت ترجمته، ونضيف إلى ذلك أيضًا أن المصادر لا تقدِّمُ لنا معلوماتٍ وافيةً عن الكتب التي ترجمت في عصر الرشيد، وإنما وجهت اهتمامها إلى ما تُرجم في المرحلة اللاحقة، أي في عصر اكتمال الترجمة.

ومع ذلك، فإنَّ بعض الإشارات الموجزة التي تقدمها مصادرنا في هذا الجانب تجعلنا نستنتج أنَّ الاتجاه إلى تنقيح الترجمات الموجودة أو القيام بترجمات جديدة= قد بدأ في تلك المرحلة التي نتحدث عنها؛ فمن بين تلك الإشارات ما نقرأه عن قيام **الحجاج بن يوسف بن مطر** -أحد أعلام الترجمة في ذلك العصر- بترجمة كتاب «أصول الهندسة» لإقليدس، وقد ذكرنا سابقًا أنَّ هذا الكتاب كان من بين ما تُرجم إلى العربية في عصر المنصور، وتطلق مصادرنا على هذه الترجمة التي تمَّت في عصر الرشيد اسم «النقل الهاروني» تمييزًا لها عن ترجمة أخرى قام بها الحجاج نفسه في عصر المأمون تسمى بـ«النقل المأموني»[(١)].

ومن بين الكتب التي أعيدت ترجمتها أيضًا في هذا العصر كتاب «المجسطي» لبطليموس، وقد كان «المجسطي» من بين الكتب الأساسية التي اهتم المنصور بنقلها من التراث اليوناني، ولكنَّ ترجمات عصر المنصور بصفة عامة -كما أشرنا- كان ينقصها الدقة ومراعاة الأصول الفنية للترجمة، ومن هنا أشرف يحيى بن خالد البرمكي في عصر الرشيد على إعادة ترجمة كتاب «المجسطي»، وعندما ترجم له هذا الكتاب ترجمةً لم يرضَ عنها شكَّل لجنة على أعلى مستوى لإعداد ترجمة لائقة لهذا الكتاب المرجعي في علم الفلك، حتى[(٢)] تمَّ له ذلك على الوجه الذي أراد[(٣)].

والجدير بالملاحظة هنا أنَّ هذا الاتجاه الإيجابي في تنقيح الترجمات القائمة، أو إعداد ترجمات جديدة سوف يتزايد بشكل واضح في الدور التالي من أدوار الترجمة، وسوف نجد في مصادرنا مادَّةً وافية حول هذا الموضوع، وقد كان ذلك من بين العوامل الأساسية التي وصلت بالترجمة في دورها الجديد إلى **قمة النضج والاكتمال**، وهو موضوع حديثنا التالي.

ثالثًا- دور الازدهار (أو: العصر الذهبي للترجمة):

كانت الفترة التالية لوفاة هارون الرشيد في سنة (١٩٣هـ = ٨٠٩م) فترة اضطراب وحرب أهلية طاحنة بين **الأمين** وأخيه **المأمون**، وقد

(١) «**الفهرست**»، لابن النديم، (ص/ ٣٧١)؛ و«**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ٤٦، ٤٧).

(٢)

(٣) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧٤).

كان من الطبيعي أن تنعكس هذه الفتنة بصورة سلبية على الاهتمام العظيم الذي أَوْلاه خلفاء بني العباس لحركة الترجمة، بل إن الآثار السلبية لهذه الفتنة شغلت زمنًا غير قليل من خلافة **عبد الله المأمون** (١٩٨-٢١٨هـ = ٨١٣-٨٣٣م)، فما إن قضى المأمون على المشاكل التي نَجَمت عن تلك الفتنة واستقرت له الأوضاع في خلافته حتى افتتح عصرًا في تاريخ الخلافة العباسية، إن لم يتفوق على عصر الرشيد في العظمة، فإنَّه لا يقل عنه بحال، والذي يهمنا في هذا السياق هو تلك الخطوة الشاسعة التي خطتها حركة الترجمة بصفة عامة، ومن التراث اليوناني بصفة خاصة، خلال عصر المأمون، وقد كانت تلك الخطوة بداية **العصر الذهبي للترجمة**، الذي استمر زهاء قرن من الزمان.

وحتى لا تتشعب بنا مسالك البحث في هذا الموضوع ينبغي أن نديرَ حديثنا عن هذا العصر الثري حول عدد من النقاط الأساسية التي تمثل مظاهر التطور الهائل الذي شهدته حركة الترجمة من التراث اليوناني خلال تلك المرحلة؛ وهي تتمثل فيما يأتي:

(١) ظهور مدرسة حنين بن إسحاق.
(٢) اتساع دائرة الترجمة.
(٣) زيادة الاهتمام بتحصيل الكتب اليونانية.
(٤) تطور بيت الحكمة إلى مؤسسة جامعة.
(٥) ظهور المزيد من الأسر والأفراد الذين شاركوا في رعاية الترجمة.
(٦) ظهور مدرسة المترجمين الحرانيين في أواخر هذه المرحلة.

ونبدأ الآن في تناول هذه النقاط بأكبر قدر من الاختصار والتركيز:

(١) ظهور مدرسة حنين بن إسحاق:

في مستهل هذه المرحلة برز في مجال الترجمة من التراث اليوناني حُنَيْن بن إسحاق العبادي، الذي لا يُعَدّ أعظم مترجمي عصره فحسب، بل أعظم المترجمين في عصر الترجمة كله؛ فهو خليقٌ بأن يُسمَّى «شيخ المترجمين» وينتسب حُنين إلى نصارى الحيرة المعروفين باسم «العباديين» وهم عرب من قبائل شتى «اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة، وتسموا بالعباد لأنه لا يضاف إلا إلى الخالق، وأما العبيد فيضاف إلى المخلوق والخالق»[(١)].

رحل حنين إلى بغداد، وحضر دروس **يوحنا بن ماسويه** في الطب، وعندما ألحَّ على أستاذه ذات يوم في السؤال احتدَّ عليه وطرده من مجلسه قائلًا: «ما لأهل

(١) «**مختصر الدول**»، لابن العبري، (ص/ ١٤٤). ويذكر ابن القفطي أنهم «قالوا: نريد أن نتسمى بـ«عَبِيد الله». ثم قالوا: العبيد اسم يشارك فيه المخلوق للخالق في التسمية؛ لأنه يُقال: عَبِيد الله وعبيد فلان؛ والعباد اسم اختص الله به، فيقال: عباد الله، ولا يقال: عباد فلان، فتَيمَّموا بالعباد، ومنهم: **عدي بن زيد العبادي** المشهور...». [«**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١١٩)].

الحِـيرة والطـب؟ عليـك ببيـع الفلـوس في الطريـق!»[١]، فاشـتد تأثر **حُنين** لهذا الموقف، وعقـد العـزم عـلى ألا يتعلـم الطـب «حتـى يُحْكِـم اللسـان اليونـاني إحكامًـا لا يكـون في دهـره مـن يُحكِمـه إحكامَـه»[٢]، فذهـب إلى بـلاد الـروم ومكـث هنـاك حتـى أتقـن اليونانيـة، ثـم عـاد وتلقـى دروس العربيـة في البـصرة عـلى يـد كبـار علمائهـا[٣]، وكان **حُنـين** يجيـد السريانيـة والفارسـية أيضًـا[٤]. هكـذا مَلَـكَ حُنـين أدوات الترجمـة، وعندمـا قـرأ **جبريـل بـن بختيشـوع ويوحنـا بـن ماسـويه** بعـض مـا ترجمـه حُنَين مـن كتابات **جالينـوس** لـم يكتـما إعجابهـما الشـديد بالمسـتوى المتميـز لترجمتـه، فتجـددت صلـة حُنـين بأسـتاذه يوحنـا بـن ماسـويه، ولازمـه «واشـتغل عليـه بصناعـة الطـب»[٥]. وذاعت شـهرة **حنـين** وبلغـت الخليفـة المأمـون، فاسـتدعاه الخليفـة حيـث «كان فتِـيَّ السـنّ، وأمـره بنقـل ما يقدر عليه مـن كتب الحكماء اليونانيـين إلى العربية وإصلاح ما ينقله غيره، فامتثـل أمـره»[٦]، واشـتد تقديـر المأمـون لـه حتـى قيـل إنـه «كان يعطيـه مـن الذهـب زنـة مـا ينقلـه مـن الكتـب إلى العربيـة مثـلًا بمثـل»[٧]، وقـد يكـون في هـذا الخـبر شيء مـن المبالغـة، ولكـنّ لـه دلالـةً مؤكـدة، وهي أنَّ «**حنـين**» وصـل مـن إتقـان الترجمـة حـدًّا جعـل البعـض ينسـبون إلى المأمـون هـذا الصنيـع في التعبـير عـن تقديـره لـه، ثـم إنَّـه يـدل مـن ناحيـة أخـرى عـلى المـدى الـذي وصـل إليـه المأمون في اهتمامـه بأمر الترجمة.

هكـذا مَلَـكَ حُنـين أدوات الترجمـة، وعندمـا قـرأ جبريـل بـن بختيشـوع ويوحنـا بـن ماسـويه بعـض مـا ترجمـه حُنَـين مـن كتابـات جالينـوس لـم يكتـما إعجابهـما الشـديد بالمسـتوى المتميـز لترجمتـه، فتجـددت صلـة حُنين بأسـتاذه يوحنـا بـن ماسـويه، ولازمـه «واشـتغل عليـه بصناعـة الطـب».

وقـد اسـتمرت مكانـة حُنَـين تـزداد تمكُّنًـا، ونشـاطه في الترجمـة مـن الـتراث اليونـاني يـزداد اتسـاعًا، وبلـغ منزلـةً خاصـة لـدى الخليفـة **المتـوكل**، الـذي اختـاره للترجمـة وائتمنـه عليهـا «وجعـل لـه كُتَّابًـا نحاريـر عالمـين بالترجمـة كانـوا يترجمـون ويتصفـح مـا ترجمـوا»[٨]، توفي حنين في سـنة (٢٦٠هـ = ٨٧٣م)[٩]، (أي في خلافـة المعتمـد عـلى اللـه).

(١) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٢٠)، و«**مختصر الدول**»، (ص/ ١٤٤).
(٢) «**طبقات الأطباء**»، لابن أبي أصيبعة، (٢/ ١٤١).
(٣) «مختصر الدول» لابن العبري، (ص/ ١٤٤).
(٤) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٤٢).
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٦) المصدر نفسه، (ص/ ١٤٣).
(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٨) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١١٨)، و«**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٤٧).
(٩) «**الفهرست**»، لابن النديم، (ص/ ٤٠٩).

لقد نقل **حنين** من كتب التراث اليوناني الكثير، ولكنه كان مهتمًّا بصفة خاصة «بنقل الكتب الطبية، وخصوصًا كتب جالينوس، حتى إنه في غالب الأمر لا يوجد شيء من كتب **جالينوس** إلا وهي بنقل **حُنين**، أو بإصلاحه لما نقل غيره»[١]. وقد استطاع حنين -كما يقول «مايرهوف»[٢]- «أن يجعل **جالينوس** سيد الطب المطلق في العصور الوسطى».

يمكننا القول -في ضوء ما تقدم- إنَّ **حُنَين** أرسى أصول مدرسة في الترجمة تقوم على تملُّك أدوات هذا الفن الصعب، ومراعاة الدقة التامة والأمانة الكاملة في النقل[٣]، والحرص على سلامة العبارة العربية وجزالتها[٤]، وقد التزم تلاميذ مدرسته بهذه التقاليد الصارمة؛ ومن أبرزهم: **إسحاق بن حنين** الذي يقول عنه ابن النديم إنه «في نجار أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية إلى العربية، وكان فصيحًا بالعربية، يزيد على أبيه في ذلك، وخَدَم من خَدَمه أبوه من الخلفاء والرؤساء.. وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٨»[٥]، ويختلف **إسحاق** عن والده في أنَّ والده وجَّه كل اهتمامه إلى ترجمة الكتب الطبية، أما **إسحاق** فقد «كانت نفسه أميل إلى الفلسفة، وهو ترجم كتاب النفس لأرسطوطاليس تفسير ثامسطيوس»[٦]، ومن التلاميذ البارزين في تلك المدرسة أيضًا: **حبيش بن الحسن الأعسم**، وهو ابن أخت حنين بن إسحاق[٧]، وفيه يقول ابن القفطي: «كان حنين يقدمه ويعظمه ويصفه ويرضى نقله، وقيل: من جملة سعادة حنين صحبة **حبيش** له؛ فإن أكثر ما نقله حبيش نسب إلى حنين، وكثيرًا ما يرى الجهال شيئًا من الكتب القديمة مترجمًا بنقل **حبيش** فيظن الغِرُّ منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم، ويغلب على ظنه أنه حُنَين وقد صُحِّف؛ فيكشطه ويجعله لحنين»[٨].

وهناك تلاميذ آخرون في هذه المدرسة؛ مثل: **عيسى بن يحيى الطبيب**[٩] الذي أثنى عليه حنين ورَضِيَ نقله[١٠]؛ ومثل **اصطفن بن بسيل**، و«كان

(١) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٤٦).

(٢) «**من الإسكندرية إلى بغداد**»، **المرجع السابق**، (ص/ ٧٩).

(٣) يقال إنَّ حنين بن إسحاق كان «لا يقدم على الترجمة إلا بعد الحصول على ثلاث مخطوطات على الأقل من الكتاب المراد ترجمته، فيقابل بينها، ويُقَوِّم نصَّها ويصححه إذا ما دعت الحاجة إلى هذا». انظر: «**شمس الله على الغرب**» للدكتورة سيجريد هونكه، (ص/ ٢٨٨).

(٤) انظر: «**ضحى الإسلام**»، لأحمد أمين، (١/ ٢٨٨).

(٥) «**الفهرست**»، (ص/ ٤١٥). والنِّجار: الأصل والحسب. ويراد به هنا المكانة.

(٦) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١١٨).

(٧) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٧١).

(٨) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٢٢).

(٩) المصدر نفسه، (ص/ ١٦٤).

(١٠) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٧١).

يقارب حنين بن إسحاق في النقل»[١].
وعلى الجملة، فقد كان حنين ومدرسته -كما يقول أحمد أمين-: «خير من يمثل الثقافة اليونانية، وخير من قدم إلى قراء العربية نتائج القرائح اليونانية»[٢].

(٢) اتساع دائرة الترجمة:

كانت الترجمة حتى بداية هذه المرحلة تكاد تكون محصورة في نطاق الكتب ذات القيمة العملية؛ أي تلك التي تلبي حاجاتٍ مباشرةً للمجتمع، وهي التي تدور في معظمها حول الطب والفلك والتنجيم والهندسة، أما في المرحلة التي نتحدث عنها -أي العصر الذهبي- فقد اتسعت دائرة الترجمة من التراث اليوناني لتغطي تقريبًا كل أوجه الثقافة اليونانية، باستثناء الأعمال الأدبية[٣]، على أنَّ أهم المجالات الجديدة التي اقتحمتها الترجمة من التراث اليوناني في عصرنا هذا هو مجال الفلسفة، وقد بدأ الاهتمام بترجمة الكتب الفلسفية اليونانية في مستهل هذا العصر، أي في خلافة المأمون، وتعزو بعض مصادرنا هذا الاهتمام إلى حلم رأى فيه المأمون أرسطو وحاوره حوارًا فلسفيًّا سُرَّ به المأمون، ويروي ابن النديم قصة هذا الحلم تحت عنوان: «ذكر السبب الذي من أجله كثرت كتب الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في هذه البلاد»[٤]، وينقل ابن القفطي فحوى رواية ابن النديم[٥]، ولكن رواية ابن أبي أصيبعة توحي بأن المأمون لم يكن قد سمع عن أرسطو قبل ذلك[٦]، وهو ما لا يمكن تصديقه[٧]، إنَّ ما نود تأكيده في هذا المقام أن الاهتمام بترجمة الكتب الفلسفية ابتداءً من عصر المأمون= كان خطوة طبيعية على طريق اتصال المسلمين بالتراث اليوناني، فعندما اطَّلع المسلمون على علوم اليونان العملية وبدؤوا يتمثلونها قادهم ذلك إلى الخطوة التالية، وهي محاولة الوقوف على كنوز اليونان الفلسفية التي تحتاج إلى مزيد من التهيؤ الذهني لها؛ لما تمتاز به الفلسفة من دقة وتجريد.

(١) المصدر نفسه، (ص/ ١٧٣).

(٢) «**ضحى الإسلام**»، (١/ ٢٨٨).

(٣) من بين ما يطرحه الأستاذ **أحمد أمين** من أسباب لذلك: ضعف معلومات المسلمين عن الحياة الأدبية اليونانية حتى في العصر العباسي، فتاريخ اليونان عندهم يبدأ بالإسكندر الأكبر أو قبله بقليل، وهم لم يسمعوا كثيرًا بـ«توسيديد»، وقد سمعوا قليلًا عن «هوميروس»، ومن الأسباب أيضًا: أنَّ العرب لم يسمحوا لأنفسهم بأن يدخلوا ملاحم لم يكن يعرفها آباؤهم، أو شعرًا تمثيليًّا ينبو عنه ذوقهم، أما الفرس فقد أثَّروا بشيء من معانيهم وخيالاتهم؛ لأنهم هم الذين انتقلوا إلى العربية ولم تنتقل العربية إليهم، ويضاف إلى ذلك أيضًا: أنَّ الأدب قومي والعلوم عالمية. انظر: «**فجر الإسلام**»، (ص/ ١٣٦، ١٣٧)، و«**ضحى الإسلام**»، (ج١، ص/ ٢٨٠- ٢٧١). ويقول الأستاذ «دانيال»: إنَّ العرب لم يترجموا شعر اليونان ولا مسرحهم، كما لم يُترجم اللاتين المتأخرون من العربية إلى اللاتينية الشعر الجاهلي. انظر كتابه: (The Arabs and Medieval Europe, P21).

(٤) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٣٩).

(٥) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٢، ٢٣).

(٦) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٤٢، ١٤٣).

(٧) انظر حول ذلك: «**ضحى الإسلام**» لأحمد أمين، (١/ ٢٦٧، ٢٦٨).

وهكـذا تُرجِمـت في تلـك الفـترة الأعـمال الفلسـفية الأساسـية لأفلاطـون وأرسـطو وأيضًـا شروح الأفلاطونيـة الحديثـة[1]، واضطلعـت مدرسـة حنـين بـن إسـحاق بالعـبء الأكبر في هـذا الصـدد، **فمـن بـين ما ترجـم مـن كتـب أفلاطـون:** كتـاب السياسـة، والمناسـبات، والنواميـس، وطيـماوس، والحس واللـذة، **ومـن بـين مـا ترجـم مـن كتـب أرسـطو:** كتـاب النفـس، والحس والمحسـوس، والحـروف أو الإلهيـات، والأخـلاق[2].

عـلى أنَّ اتسـاع دائـرة الترجمـة لـم يعـد مجـرد طَـرق موضوعـات لـم تُطْـرَق مـن قبـل، بـل إنـه يعنـي كذلـك اسـتكمال الترجمـة في موضوعـات كان المسـلمون قـد بـدؤوا يطرقونهـا منـذ وقـت طويـل كالطـب والهندسـة والفلـك والمنطـق وغـير ذلـك، ومـن هنـا تُرْجِمـت (أو أعيـدت ترجمـة) كتـب **أبُقْـراط، وجالينـوس** في الطـب، **وإقليـدس** في الهندسـة، **وبطليمـوس** في الفلـك والجغرافيـا، **وأرسـطو** في المنطـق والطبيعيـات... إلـخ[3]. وإنـه ليمكـن القـول دون مبالغـة إنـه لـم ينقـضِ العـصر الذهبي للترجمـة حتـى كانـت معظـم عيـون الـتراث اليونـاني متاحـةً باللغـة العربيـة أمـام طـلاب البحـث في العـالم الإسـلامي.

وإنـه ليمكـن القـول دون مبالغـة إنـه لـم ينقـضِ العـصر الذهبـي للترجمـة حتـى كانـت معظـم عيـون الـتراث اليونـاني متاحـةً باللغـة العربيـة أمـام طـلاب البحـث في العـالم الإسـلامي.

(٣) زيادة الاهتمام بتحصيل الكتب اليونانية:

إذا كانـت حركـة الترجمـة مـن الـتراث اليونـاني قـد نشـطت نشـاطًا هائـلًا خـلال العـصر الـذي نتحـدث عنـه، فمـن الطبيعـي أن يواكـب هـذا النشـاط زيـادة الاهتـمام بتحصيـل الكتـب اليونانيـة؛ لأن هـذه الكتب في مـادة الترجمـة، وقـد تجـلَّى هـذا الاهتـمام عـلى المسـتوى الرسـمي وغـير الرسـمي. فعـلى المسـتوى الرسـمي اجتهـد الخليفـة المأمـون بصفـة خاصـة في أن يجمـع كل مـا اسـتطاع جَمْعَـه مـن كتـب الـتراث اليونـاني، فـيروي ابـن النديـم بهـذا الصـدد أنَّ: «المأمـون كان بينـه وبـين ملـك الـروم مراسـلات، وقـد اسـتظهر عليـه المأمـون، فكتـب إلى ملـك الـروم يسـأله الإذن في إنفـاذ مـا يختـار مـن العلـوم القديمـة المخزونـة المدخـرة ببـلاد الـروم، فأجـاب إلى

(1) Ph. Hitti, History of the Arabs P.406.

(٢) انظـر تفصيـل ذلـك في: «**تاريـخ التمـدن الإسـلامي**»، لجرجـي زيـدان، (٣/ ١٧١، ١٧٢).

(٣) يقـدم جرجـي زيـدان في «**تاريـخ التمـدن الإسـلامي**»، (٣/ ١٧١-١٧٦)، والدكتـور أحمـد فريـد رفاعـي في: «عـصر المأمـون»، (١/ ٣٨١- ٣٨٧) قوائـم تفصيليـة بأسـماء الكتـب التـي تُرجمـت مـن الـتراث اليونـاني ومترجميهـا، ومعظمهـا ترجـم في العـصر الـذي نتحـدث عنـه الآن.

ذلك بعد امتناع»[١]، وقد ندب **المأمون** لذلك جماعةً من أعيان المترجمين في عصره، ومِمَّن رآهم أهلًا لحمل هذه المهمة الجليلة، ومن هؤلاء: **الحجاج بن يوسف بن مطر، ويوحنا** (أو يحيى) **بن البطريق، وسَلْم** صاحب **بيت الحكمة، ويوحنا بن ماسويه**، حيث ذهبوا إلى القسطنطينية واختاروا ما أرادوا من كنوز التراث اليوناني، ويروي ابن العبري هذا الخبر بصورة قريبة حيث يذكر أنَّ المأمون «تمَّمَ ما بدأ به جده **المنصور**، فأقبل على طلب العلم في مواضعه، وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة، فبعثوا إليه منها ما حضرهم»[٢].

ويروي ابن نُباته في سياق حديثه عن **سهل بن هارون** أنَّ المأمون «جعله كاتبًا على خزانة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نُقِلتْ للمأمون من جزيرة قبرس»[٣]، ثم يضيف أن المأمون لما هادن حاكم قبرص أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان، فاستشار الحاكم بطانته في ذلك «فكلهم أشاروا بعدم الموافقة، إلا مطرانًا واحدًا، فإنه قال: الرأيُ أنْ تُعجِّل بإنفاذها إليه، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها فأرسل إليه»[٤].

وعلى المستوى غير الرسمي فإنَّ أبناء «**موسى بن شاكر**» الثلاثة -وهم من سوف نتحدث عن دورهم في رعاية حركة الترجمة بعد قليل- قاموا بجهدٍ بارز في جمع الكتب اليونانية وخاصَّة كتب الرياضة والفلك؛ ومما يرويه ابن النديم في ذلك أنهم «أنفذوا **حنين بن إسحاق** وغيره إلى بلد الروم، فجاؤوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات، في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقي والطب»[٥]، ويقول ابن القفطي: «هم [أي: بنو موسى] ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب، وقد أتعبوا نفوسهم فيها، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم.. وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم»[٦].

ويبرز في هذا الصدد أيضًا اسم «قُسْطا بن لوقا البعلبكي»، وكان ملكاني المذهب، فقد روي أنَّ قسطا «دخل إلى بلاد الروم وحصَّل من تصانيفهم الكثير»[٧]،

(١) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٣٩).

(٢) «**مختصر الدول**»، (ص/ ١٣٦). وانظر أيضًا: «**مقدمة ابن خلدون**»، (ص/ ٤٨٠، ٤٨١).

(٣) «**سرح العيون في رسالة ابن زيدون**»، (ص/ ٢٤٢).

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٤٠).

(٦) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٠٨).

(٧) المصدر نفسه، (ص/ ١٧٣).

ثم ذهب إلى بغداد يحمل بعض هذه التصانيف[١]، وكان «قُسْطا» من أعلام المترجمين في ذلك العصر، يصفه ابن النديم بأنه «جيِّد النقل، فصيح باللسان اليوناني والسرياني والعربي»[٢]. هكذا زاد الاهتمام كثيرًا بتحصيل الكتب اليونانية في تلك المرحلة، وقد ارتبط ذلك ارتباطًا وثيقًا بالوثبة الهائلة التي شهدتها حركة الترجمة حينئذٍ.

(٤) تطور بيت الحكمة إلى مؤسسة جامعة:

رجَّحْنا فيما سبق أنَّ الرشيد هو واضع نواة بيت الحكمة الذي كان يمثل خزانةً للكتب تضم مصادر المعرفة المختلفة، أجنبية كانت أم عربية، وقد عين **الرشيد** «**الفضل بن نَوْبخت**» مشرفًا على هذا البيت، و«**يوحنا بن ماسويه**» مشرفًا على الترجمة فيه. ولكن المأمون حوَّل بيت الحكمة من مجرد خزانة كتب يتولى بعض المترجمين ترجمة الكتب الأجنبية فيها - إلى مؤسسة جامعة أو «أكاديمية» كبرى، متعددة الوظائف، شديدة الانضباط فيما يؤدى فيها من أعمال، **وقد تكَوَّنَ بيت الحكمة حينئذٍ من ثلاثة أقسام أساسية:**

أولها: مكتبة ضخمة كانت تتغذى دائمًا بما يَرِدُ إليها من الكتب من مختلف البقاع، فتزداد ثراءً وتنوُّعًا، **وثانيها:** هيئة للترجمة كانت تضُمّ حُذَّاق المترجمين من اللغات العالمية الأساسية؛ كاليونانية والفارسية والسريانية والهندية، وكانت الترجمة من اليونانية تحظى بالاهتمام الأولى، وقد أُسنِدت مهمة الإشراف على هيئة الترجمة إلى: **يوحنا بن ماسويه**، أما **القسم الثالث والأخير**، فهو: مرصد فلكي تولَّى إدارته «**سندبن علي اليهودي**»، (وقد أسلم على يد المأمون)[٣]، وقد ضمَّ هذا المرصد عددًا من كبار رجال الفلك؛ كمحمد بن موسى الخوارزمي، ويحيى بن أبي منصور[٤]، ولا شكَّ أنَّ هذه الأقسام الثلاثة كانت تتضافر فيما بينها ويخدم بعضها بعضًا، **فالمكتبة الضخمة** تقدم للباحثين المادة العلمية اللازمة، **وهيئة الترجمة** تتيح لهم الاطلاع على هذه المادة العلمية باللغة العربية؛ أما **المرصد** فهو يمثل الجانب العملي التطبيقي ويعتمد بالطبع على تلك المكتبة الغَنِيَّة المتاحة للباحثين باللغة العربية، فقد مثَّل بيت الحكمة إذن مؤسسة علمية متكاملة أو جامعة كبرى، يعتبرها بعض الباحثين أهم مؤسسة تعليمية منذ إنشاء

(١) المصدر نفسه، (ص/ ٢٤)، وانظر أيضًا: «**الفهرست**» لابن النديم، (ص/ ٣٤٠).

(٢) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٤١).

(٣) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٤٠، ١٤١)، و«**الفهرست**»، (ص/ ٣٨٣).

(٤) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٨٣، ٣٨٤).

جامعة الإسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد[1]، وقد كانت الترجمة قبل هذا التطور العظيم في **بيت الحكمة** تقوم على جهود مبعثرة وغير منظمة؛ أما بعد تطور بيت الحكمة على هذا النحو فإن الترجمة قد ضُبِطَت، ونُظِّمت، وخَضَعت لإشرافٍ فني دقيق، وتركَّزت في **بيت الحكمة**[2].

ويرجع إلى الخليفة **المتوكل** الفضلُ في إجراء المزيد من ضبط العمل وتنظيمه في بيت الحكمة؛ وخاصة فيما يتعلق بالترجمة، فقد اختار لمهمة الإشراف على الترجمة في هذه المؤسسة **حنين بن إسحاق** إمام المترجمين، وهو الذي ذكرنا أنَّه كان يجيد أربع لغات إجادةً تامَّة، وقد ضمَّ المتوكل إلى **حُنين** نخبةً من أعلام المترجمين يعملون تحت إشرافه[3].

وهكذا مثَّل **بيت الحكمة** في عهد المأمون وخلفائه مظهرًا مهمًّا من مظاهر التطور الهائل الذي شهدته حركة الترجمة من التراث اليوناني خلال تلك الفترة[4].

(1) Hitti, History of the Arabs, P.310.

(2) Idem.

(٣) «أخبار الحكماء» لابن القفطي، (ص/ ١١٨).

(٤) لمزيد من التفاصيل حول بيت الحكمة ابتداءً من عصر المأمون، ارجع إلى: «**عصر المأمون**» لأحمد فريد رفاعي، (١/ ٣٧٥)، و«**المأمون الخليفة العالم**» للدكتور محمد مصطفى هدارة، (ص/ ١١٧- ١١٩)، و«**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، لديلاسي أوليري، (ص/ ٢٤٩- ٢٥٣)، و«**التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**»، للدكتور أحمد شلبي، (٣/ ٢٢٧- ٢٣١).

(٥) ظهور المزيد من الأسر والأفراد الذين شاركوا في رعاية الترجمة:

تحدَّثْنا قبل ذلك عن دَور أسرتي البرامكة **وبختيشوع** في رعاية حركة الترجمة من التراث اليوناني في عصر الرشيد، وقد نُكِب البرامكة في عصر الرشيد فانقطع دورهم، أما أعضاء أسرة **بختيشوع** فقد استمروا يمارسون نشاطهم بعد عصر الرشيد بزمان طويل، وقد كان **جبرائيل بن بختيشوع** بصفة خاصة -كما أشرنا- متميزًا في تشجيع الترجمة والمترجمين، ولعل أبرز ما يعبِّر عن موقفه ذلك هو ما بسطه على **حنين بن إسحاق** من رعاية سابغة حين اكتشف طاقاته العظيمة في الترجمة وهو فتى يافع، فاحتفى به وأذاع موهبته، وكان «قد ترجم له أقسامًا قسَّمَها بعض الروم في كتاب من كتب التشريح لجالينوس»[5]، ويقال إن **جبرائيل** هو الذي قدم «**حنين**» لأبناء «**موسى بن شاكر**» الذين قاموا بأكبر دور في رعايته واحتضان مواهبه[6]، وكان **بختيشوع بن جبرائيل** أيضًا من الذين يعرفون مكانة **حنين**، وقد ترجم له حنين «كتبًا كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية»[7].

على أنَّ الأسرة التي تقف بلا منافس على

(٥) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٢٠).

(٦) «**مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب**»، لديلاسي أوليري، (ص/ ٢٤٨).

(٧) «**طبقات الأطباء**»، (٢/ ٦٢).

الإطلاق في رعاية حركة الترجمة هي أسرة: **موسى بن شاكر**، المكوَّنة من أبناء موسى الثلاثة: محمد، وأحمد، والحسن؛ ويُعرَفون ببني موسى أو بني المنجم. وكان أبوهم في صدر شبابه من قُطَّاع الطرق، ثم تاب واشتغل بالعلم وأصبح من منجمي المأمون وتوثقت صلته به، وبعد وفاته أصبح المأمون يرعى أولادَه الثلاثة ويتعهدهم بالتثقيف والتهذيب في بيت الحكمة[١]، فشبُّوا على حب البحث والنظر، وبرعوا بصفةٍ خاصة في الهندسة والفلك والميكانيكا والموسيقى والفلسفة[٢]، وقد تكونت لدى هؤلاء الأبناء الثلاثة ثروة طائلة أنفقوها في هواية عميمة النفع نبيلة المقصد، وهي طلب العلم ورعاية طلابه، وقد كان لهم اهتمام خاص بجمع المخطوطات اليونانية وترجمتها، وكان يرسلون البعثات العلمية على نفقتهم إلى بلاد الروم لتحصيل هذه المخطوطات، ثم ينفقون الكثير من أجل ترجمتها إلى العربية. يقول ابن النديم في بني موسى: «هؤلاء القوم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة، وبذل فيها الرغائب، وأتعبوا فيها نفوسهم، وأنفذوا إلى بلد الروم من أخرجها لهم، فأحضروا النَّقَلَةَ من الأصقاع والأماكن بالبَذْلِ السَّنِّي، فأظهروا عجائب الحكمة»[٣]، وكان **حنين بن إسحاق** من بين من أوفدهم بنو موسى إلى بلاد الروم لجمع المخطوطات[٤]، والمعروف أن بني موسى وظفوا جماعة من كبار المترجمين، من بينهم: حنين بن إسحاق، وحبيش بن الحسن، و**ثابت بن قرة**، وكانوا يعطونهم راتبًا شهريًا سخيًا[٥]، وكان بنو موسى يوجهون كثيرًا من التأييد المعنوي، فضلًا عن المادي، إلى من يرونه جديرًا بذلك من المترجمين؛ من ذلك ما يرويه ابن النديم من أن محمد بن موسى بن شاكر استصحب **ثابت بن قرة** لأنه رآه فصيحًا، وقرأ **ثابت** على **محمد بن موسى**، وتعلَّم في داره، ثم وصله **محمد بن موسى** بالخليفة المعتضد[٦].

فهذه أسرة موسى بن شاكر التي قدمت مثالًا رائعًا في رعاية الترجمة في ذلك العصر[٧]، وقد قام العديد من الأفراد أيضًا في ذلك العصر بدورهم في رعاية الترجمة، ومن هؤلاء: الكندي الفيلسوف (يعقوب بن إسحاق)، ومحمد بن عبد الملك الزيات، والحسن بن موسى

(١) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) «**الفهرست**»، لابن النديم، (ص/ ٣٧٩)، و«**طبقات الأمم**» لصاعد بن أحمد الأندلسي، (ص/ ٨٧).

(٣) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧٨- ٣٧٩).

(٤) المصدر نفسه، (ص/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٥) المصدر نفسه، (ص/ ٣٤٠).

(٦) المصدر نفسه، (ص/ ٣٨٠).

(٧) لمزيد من التفاصيل حول هذه الأسرة وإسهاماتها ارجع إلى كتاب: «**شمس الله على الغرب**» بقلم سيجريد هونكه، (ص/ ٧٦- ٨٩).

النوبختي، والفضل بن سهل، وأخوه الحسن بن سهل[١]؛ أما الكندي فإنَّ بعض مصادرنا تعده بين المترجمين، يقول ابن القفطي نقلًا عن ابن جلجل الأندلسي: «ترجم [أي الكندي] من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكِل، ولخَّص المستصعب العويص»[٢]، ولكننا لا نجد في مصادرنا ذكرًا لأي كتاب قام الكندي بترجمته؛ كما أنَّ ابن النديم لا يعُدّ الكندي بين المترجمين[٣]، لقد كان الكندي متبحرًا في فلسفة اليونان، وحصَّل ما حصَّل منها عن طريق التراجم التي قام بها غيره؛ ولهذا كان راعيًا عظيمًا للمترجمين، وكان يطلب منهم أحيانًا ترجمة بعض الكتب له، كما كان له جهد ملحوظ في شرح كتب الفلسفة اليونانية، ومراجعة الترجمات وضبطها وتصويب مصطلحاتها[٤].

وأما **محمد بن عبد الملك الزيات** فقد كان ينفق بسخاء على المترجمين، وقد تُرجمت باسمه كتب عديدة[٥]، وأما **الحسن بن موسى النوبختي** فقد كان فيلسوفًا متكلمًا، «وكان يجتمع إليه جماعة من النَّقَلَة لكتب الفلسفة؛ مثل: أبي عثمان الدمشقي، وإسحاق، وثابت، وغيرهم»[٦]، وأما **الفضل بن سهل** فقد كان من رعاة الترجمة المتميزين و«هو الذي استدعى **عمر بن الفرُّخان** من بلده ووصله بالمأمون فترجم له كتبًا كثيرة»[٧]، وكذلك كان أخوه **الحسن بن سهل** الذي كان الترجمانُ البارزُ **يحيى بن البطريق** من جملة مترجميه[٨]. هكذا لم يقتصر تشجيع الترجمة ورعايتها على الخلفاء فقط، بل امتدَّ هذا التشجيع ليشمل العديد من غير الخلفاء، وكان ذلك من بين العوامل الأساسية وراء هذا الازدهار غير المسبوق للترجمة في تلك المرحلة.

هكذا لم يقتصر تشجيع الترجمة ورعايتها على الخلفاء فقط، بل امتدَّ هذا التشجيع ليشمل العديد من غير الخلفاء، وكان ذلك من بين العوامل الأساسية وراء هذا الازدهار غير المسبوق للترجمة في تلك المرحلة.

(١) يقدم جرجي زيدان مزيدًا من الأسماء في كتابه: «**تاريخ التمدن الإسلامي**»، (٣/ ١٧٠).

(٢) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٤١).

(٣) حقَّق الدكتور **عبد الرحمن بدوي** هذه المسألة تحقيقًا وافيًا في كتابه: «**دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي**»، (ص/ ١٣١-١٤٢)، وأثبت أنَّ **الكندي** لم يكن على علم باليونانية أو الفارسية أو السريانية، وذكر أنَّ دوره فيما يتعلق بالترجمات انحصر في تكليف بعض المترجمين بنقل كتاب يهمه، أو إصلاح ما ترجمه غيره من المترجمين، أو الشرح والتفسير والاختصار.

(٤) **المرجع السابق**، (ص/ ١٤١).

(٥) «**تاريخ التمدن الإسلامي**» لجرجي زيدان، (٣/ ١٧٠).

(٦) «**الفهرست**»، (ص/ ٢٥١).

(٧) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٦٢).

(٨) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٤١).

(٦) ظهور مدرسة المترجمين الحرانيين:

تكلمنا في صدر هذا البحث عن أهم مراكز الثقافة اليونانية في دولة الخلافة العباسية، وذكرنا من بينها **مدينة حران** إحدى مدن بلاد الجزيرة، وهي التي انتقلت إليها من أنطاكية، في عهد الخليفة المتوكل، المدرسة اليونانية في الطب والفلسفة، وكانت حران -كما شرحنا- موطن الصابئة الوثنيِّين من عَبَدَة النجوم.

هذه المدرسة الكبرى التي تأسست في حران ابتداء من عهد المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧/ ٨٤٧-٨٦١م) كان لها إسهامها المتميز في حركة الترجمة من التراث اليوناني في مرحلة متأخرة من العصر الذي نتناوله الآن، وقد كان لعبادة النجوم عند الصابئة تأثير واضح في اهتماماتهم العلمية؛ فقد برعوا براعةً خاصة في الفلك والرياضة، وهم مع ذلك لم يهملوا دراسة الطب والفلسفة والمنطق، ولكن اهتمامهم بها كان أقل من اهتمامهم بالفلك والعلوم الرياضية.

وشيخ هذه المدرسة بلا جدال هو: **ثابت بن قرة**، المولود في حران سنة (٢١١هـ = ٨٢٦م)، (في وقت متأخر من خلافة المأمون)، والمتوفى في بغداد سنة (٢٨٨هـ = ٩٠١م)[١]، (أي: في أواخر خلافة المعتضد بالله) وقد رحل ثابت بن قرة إلى بغداد واستوطنها، وكان ارتباطه الوثيق ببني موسى بن شاكر وسيلةً لاتصاله بالخليفة المعتضد (٢٧٩- ٢٨٩ = ٨٩٢-٩٠٢م)، وقد حَلَّ ثابت من المعتضد بمكان لم ينافسه فيه أحد، حتى من بين خاصة الخليفة ووزرائه[٢].

أثرى ثابت بن قرة الحياة الثقافية في دولة الخلافة العباسية بمؤلفاته ومترجماته، ولا يعنينا هنا أن نتحدث عن مؤلفاته الغزيرة التي دار معظمها حول الفلك والرياضة والطب[٣]، ولكننا نشير إلى مكانته في الترجمة، التي كادت أن تضاهي مكانة **حنين بن إسحاق**، وقد كان ثابت يقف على رأس مجموعة الصابئة الحرانيين في ميدان الترجمة، كما وقف **حنين** على رأس مجموعة النساطرة[4]، وكان يجيد اليونانية والعربية والسريانية.

ولا شكَّ أنَّ ما ترجمه **ثابت بن قرة** من التراث اليوناني أو قام بإصلاحه من الترجمات السابقة= كان خطوةً شاسعة في هذا الميدان، ازدادت بها حركة الترجمة ثراءً وغنى، فقد

(١) «**طبقات الأطباء**» لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ١٩٦).

(٢) «أخبار الحكماء» لابن القفطي، (ص/ ٨١).

(٣) راجع التفاصيل في «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٨١- ٨٤)، و«**طبقات الأطباء**»، (٢/ ١٩٧- ٢٠١).

(4) Hitti, History of the Arabs. P. 314.

ترجم كتاب «**جغرافيا المعمور وصفة الأرض**» لبطليموس، وكان هذا الكتاب قد «نُقِل للكندي نقلًا رديئًا، ثم نقله **ثابت** إلى العربي نقلًا جيدًا»[١]، أما كتاب «**المجسطي**» لبطليموس أيضًا (الذي كان قد تُرجم قبل ذلك غير مرة) فقد أصلحه ثابت[٢]، كما ترجم كتاب «منا لاوس» في أصول الهندسة[٣]، وترجم جزءًا مهمًّا من كتاب **المخروطات** لـ«أبو لونيوس»[٤]، وأصلح ثابت ترجمة إسحاق بن حنين لكتاب إقليدس في «أصول الهندسة»[٥] وهو الكتاب الذي كان **الحجاج بن مطر** قد نقله نقلَين: أحدهما يعرف بالهاروني؛ والثاني يعرف بالمأموني، كما أشرنا سابقًا، وهذه مجرد أمثلة لجهود ثابت بن قرة في الترجمة وإصلاح الترجمات السابقة.

ولا شكَّ أنَّ ما ترجمه ثابت بن قرة من التراث اليوناني أو قام بإصلاحه من الترجمات السابقة= كان خطوةً شاسعة في هذا الميدان، ازدادت بها حركة الترجمة ثراءً وغنى.

وقد استمرت **المدرسة الحرانية** بعد وفاة رائدها **ثابت بن قرة** مُمَثَّلةً في أبنائه وتلاميذه، ويأتي على رأسهم: **سنان بن ثابت بن قرة** الذي اعتنق الإسلام وتوفي سنة (٣٣١هـ)[٦]، وكان التأليف أغلب عليه من الترجمة، وكان ممَّا ترجمه إلى العربية «نواميس هرمس»، وقام بإصلاح بعض الترجمات، ومنها كتاب أفلاطون في أصول الهندسة[٧]، وكان من أبناء سنان: **ثابت، وإبراهيم**؛ وكانا من العلماء البارعين في العلوم الحكمية والطبية، ولكن مصادرنا لا تحدثنا عن جهد بارز قاما به في الترجمة، والواضح أنَّ معظم كنوز التراث اليوناني كانت قد ترجمت أو روجعت ونُقِّحَت بحلول ذلك الوقت، فكاد دور **المدرسة الحرانية** بعد ذلك يقتصر على التأليف، وخصوصًا في علم الفلك، والجدير بالإشارة هنا أنَّ واحدًا من أبرز علماء الفلك في الإسلام ينتمي إلى تلك **المدرسة الحرانية** وهو: **البتَّاني** (أبو عبد الله محمد بن جابر) المتوفى سنة (٣١٧هـ)[٨].

فهذه هي أهم مظاهر التطور الهائل الذي شهدته حركة الترجمة من التراث اليوناني خلال عصرها الذهبي، ويمكننا هنا أن نضع حدًّا تقريبيًّا لنهاية هذا **العصر**

(١) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧٥).

(٢) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٦٩).

(٣) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧٤).

(٤) المصدر نفسه، (ص/ ٣٧٣)، و«**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٤٥).

(٥) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧١).

(٦) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٣٠).

(٧) المصدر نفسه، (ص/ ١٣٣).

(٨) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٨٩،٣٩٠)، و«**طبقات الأمم**» لصاعد بن أحمد الأندلسي، (ص/ ٨٧، ٨٨).

الذهبي هو أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)؛ أي خلال السنوات القليلة التي أعقبت وفاة **ثابت بن قرة**؛ لقد كان **ثابت** آخرَ المترجمين العباقرة، وعندما تُوفي كانت أهمُّ مصادر الثقافة الإغريقية قد تُرجمت إلى اللغة العربية، ومع ذلك فإنَّ حركة الترجمة لم تتوقف تمامًا خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)؛ فماذا كانت ملامحها واتجاهاتها؟ هذا ما سوف نتحدث عنه في الصفحات القليلة التالية.

* رابعا- الترجمة في دورها الأخير:

يمكن القول إنَّ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) شهد وضع اللمسات النهائية في حركة الترجمة، وأول ما نلاحظه في هذا السياق أنَّ الاهتمام الرسمي العظيم الذي شهدته حركة الترجمة من الخلفاء في أدوارها الأولى لم يَعُد له الوجود نفسه الآن، وبدأ ينتقل هذا الاهتمام الرسمي -على نطاق أقل كثيرًا- إلى أمراء بعض الدويلات التي نشأت في ظل الخلافة العباسية؛ فلم تظفر الترجمة على المستوى الرسمي بمثل الاهتمام الذي ظفرت به على يد أبي جعفر المنصور أو هارون الرشيد أو المأمون أو المتوكل أو المعتضد. وتجدر الإشارة هنا -بصفة خاصة- إلى بلاط **سيف الدولة الحمداني** (المتوفى سنة ٣٥٦هـ= ٩٦٧م)، **وعضد الدولة البويهي** (المتوفى سنة ٣٧٢هـ = ٩٨٣م)؛ فقد عُرِفَ عن كلٍّ منهما تشجيعه للعلم واحتفاله بالعلماء، أما سيف الدولة فقد ضم مجلسُه نخبةً من العلماء والمفكرين، ومن أبرزهم **أبو نصر الفارابي**[1] الذي استوعب التراث اليوناني استيعابًا لا نظير له، وشرحه وقدَّمه للناس، وخاصة أعمال أرسطو، ولا شك أن سيف الدولة -من خلال مجالسه العلمية- وقف على هذا التراث وقدَّره، وتذكر بعض مصادرنا أنَّ «**عيسى النفيسي**» كان من بين أطباء سيف الدولة، وكان منهم من يعطيه الأمير رزقين لأجل تعاطيه علمين، ومن يعطيه ثلاثة أرزاق لتعاطيه ثلاثة علوم، وكان «عيسى هذا يأخذ ثلاثة أرزاق: رزقًا للنقل من السرياني إلى العربي، ورزقين آخرين بسبب علمين آخرين»[2]. وهذا الذي كان ينقله عيسى من السريانية كان تراثًا يونانيًّا سبق نقله إلى السريانية في بعض مراكز الثقافة اليونانية المختلفة التي دخلت تحت راية الدولة الإسلامية كما أشرنا سابقًا.

وأما **عضد الدولة** فلم يكن أقل تشجيعًا للعلم واحتفالًا بالعلماء من **سيف الدولة**، وقد كان من حاشيته أحد أطباء أسرة **بختيشوع** الشهيرة؛ تلك الأسرة التي

(١) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٨٣).

(٢) المصدر نفسه، (ص/ ١٦٦).

كانت أصدق ممثل للطب اليوناني في دولة الخلافة؛ وهذا الطبيب هو: **جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع**[١]، وكان بلاطه يضم رجالًا من أمثال: **علي بن أحمد الأنطاكي** الذي «كان مشاركًا في علوم الأوائل مشاركة جميلة»، ومن تصانيفه كتاب **تفسير الأرثماطيقي** وكتاب **شرح إقليدس**[٢] وكان من بين أطباء **عضد الدولة** طبيب يقال له «**نظيف الرومي**»، وكان «عالمًا بالنقل من اليوناني إلى العربي»[٣]. ولكن المؤسف حقًا أنَّ مصادرنا لا تقدم لنا مادة وافية عن الترجمة من التراث اليوناني في الدول التي قامت في ظل الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

ولكن المؤسف حقًا أنَّ مصادرنا لا تقدم لنا مادة وافية عن الترجمة من التراث اليوناني في الدول التي قامت في ظل الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

على أنَّ حديثنا عن الترجمة في دورها الأخير لا يمكن أن يكتمل دون أن نتناول مدرسة ظهرت في هذه المرحلة، وكان لها إسهامها الذي لا ينكر في حركة الترجمة من التراث اليوناني؛ وتلك هي **مدرسة اليعاقبة**، وهم الذين يعرفون أيضًا باسم «المونوفيسيتيين» أي القائلين بالطبيعة الواحدة في السيد المسيح، وأبرز أعلام هذه المدرسة: **أبو زكرياء يحيى بن عدي** (المتوفى ببغداد سنة ٣٦٣هـ = ٩٧٣م)[٤]، **وأبو علي عيسى بن إسحاق بن زُرْعة** (المتوفى سنة ٣٩٨هـ = ١٠٠٨م)[٥].

كان الاتجاه الغالب لدى **المدرسة اليعقوبية** هو ترجمة الكتب الفلسفية والمنطقية، وخاصة من بين أعمال أرسطو، رغم أنها تناولت بعض المجالات الأخرى وأهمها الطب، ويبدو هذا الاتجاه واضحًا بوجه أخص لدى **يحيى بن عدي**، ولعل ذلك راجع إلى أنَّ **يحيى** تتلمذ على **أبي بشر متى بن يونس** (توفي ٣٢٨هـ = ٩٤٠م) الذي انتهت إليه رئاسة المنطقيين في عصره كما يقول ابن النديم[٦]، وقد نقل **متى بن يونس** إلى العربية كتاب «البرهان» أو «التحليلات» لأرسطو، وهو ما يعرف بـ«**أنالوطيقا الثاني**»، وذلك عن الترجمة السريانية لحنين بن إسحاق، كما نقل كتاب «**الشعر**» لأرسطو أيضًا[٧]، وقد سار التلميذ على هدي أستاذه، فكان

(١) المصدر نفسه، (ص/ ١٠٣، وما بعدها)، و«**طبقات الأطباء**»، لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ٧٣، وما بعدها).

(٢) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ١٥٧).

(٣) المصدر نفسه، (ص/ ٢٢١)، و«**طبقات الأطباء**»، (٢/ ٢٣٢).

(٤) «**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٣٨).

(٥) المصدر نفسه، (ص/ ١٦٤).

(٦) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٦٨).

(٧) «**تاريخ الأدب العربي**»، لبروكلمان، (٤/ ١٢٠).

أحد الذين ترجموا كتاب سوفسطيقا (المغالطات) لأرسطو؛ وترجم لأرسطو أيضًا كتاب طوبيقا (الجدل) عن نسخة سريانية أعدَّها إسحاق بن حنين[١]، واشترك في ترجمة بعض مقالات كتاب السماع الطبيعي لأرسطو عن السريانية، وأصلح بعض المقالات[٢]، وهناك ترجمات أخرى قام بها **يحيى بن عدي** لكتب أرسطو، كما أصلح بعض الترجمات[٣]، وترجم بعض شروح جالينوس[٤].

أما **عيسى بن إسحاق بن زُرعة** فيصفه ابن النديم بأنه «أحد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة، والنَّقَلة المجوِّدين»[٥]، وأكثر تصنيفاته تعليقات وشروح واختصارات لكتب أرسطو[٦]، ولكن له مع ذلك بعض الترجمات المهمة، ويأتي على رأسها كتاب: **منافع أعضاء جسم الإنسان بتفسير يحيى النحوي الإسكندراني**[٧] لجالينوس؛ وخمس مقالات من كتاب نيوقلاس في فلسفة أرسطاليس[٨].

ويجدر بنا -قبل أن ننهي حديثنا عن تلك المدرسة- أن نشير إلى أحد التلاميذ البارزين ليحيى بن عدي، وهو أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمَّار[٩]، ولابن الخمار عدد من الكتب معظمها في الفلسفة والمنطق، وبعضها في الطب والطبيعيات؛ ولكنه نقل -فوق ذلك- إلى العربية عن السريانية عددًا من كتب التراث اليوناني، ومن أهمها كتاب **الآثار العلوية** لأرسطو[١٠].

انتهى عصر الترجمة بنهاية القرن الرابع الهجري تقريبًا (العاشر الميلادي)، وكانت **مدرسة اليعاقبة** آخر المدارس الأساسية لترجمة التراث اليوناني، ولكن لم يكن أمامها الكثير لتنجزه؛ ولهذا كانت محدودةً في تأثيرها.

ويجدر بنا -قبل أن ننهي حديثنا عن تلك المدرسة- أن نشير إلى أحد التلاميذ البارزين ليحيى بن عدي، وهو أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمَّار، ولابن الخمار عدد من الكتب معظمها في الفلسفة والمنطق، وبعضها في الطب والطبيعيات.

(١) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٤٩)، و«**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٨).

(٢) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٥٠)، و«**أخبار الحكماء**»، (ص/ ٢٩).

(٣) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٥١، ٣٥٢).

(٤) «**تاريخ الأدب العربي**»، لبروكلمان، (٤/ ١٢١).

(٥) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٦٩).

(٦) المصدر نفسه، (ص/ ٣٧٠).

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها، و«**تاريخ الأدب العربي**»، لبروكلمان، (٤/ ١٢٣).

(٨) «**الفهرست**»، (ص/ ٣٧٠).

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها، ولمزيد من التفاصيل حول ابن الخمّار وأعماله راجع: «**طبقات الأطباء**» لابن أبي أُصَيبعة، (٢/ ٣٦٢- ٣٦٤).

وقد بدأت ثمار عصر الترجمة تظهر بوضوح حتى قبل نهاية القرن الرابع الهجري؛ بل يمكن القول إن بواكيرها ظهرت منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ممثَّلةً في **يعقوب بن إسحاق الكندي** فيلسوف العرب، وشهدت العقود الأولى من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أعظم إبداعات العالِمَين الكبيرين **أبي بكر محمد بن زكريا الرازي، وأبي نصر الفارابي** في الطب والفلسفة، ثم توالى ظهور العلماء المبدعين بعد ذلك؛ مثل: ابن سينا، والحسن بن الهيثم، والبيروني، وابن رشد، وغيرهم، وكل هؤلاء هضموا التراث الأجنبي الذي هيَّأه لهم عصر الترجمة، ثم أضافوا إليه من قرائحهم وثقافتهم، فقدَّموا فكرًا جديدًا ظهرت فيه كل ملامح الأصالة والابتكار.

ملاحظات ختامية:

بعد هذا الاستعراض لعصر الترجمة، منذ بداياته الأولى حتى نهايته، يمكننا أن نخرج بالملاحظات الأساسية التالية:

- **أولًا:** رغم ما شاب الدور الأول للترجمة -وهو دور النشأة (في عصر المنصور وخليفتيه)- من أَوْجُه القصور فقد كان له الفضل الأول في وضع حجر الأساس لمرحلة نمو الترجمة واتساعها، ثم بلوغها إلى العصر الذهبي بعد ذلك؛ لقد فتحت الترجمة في دورها الأول أمام المجتمع الإسلامي منافذَ ثقافات جديدة أغرتهم بالتطلع إلى المزيد؛ فكانت هذه خطوة ضرورية لكل الخطوات التالية.

- **ثانيًا:** يمثل عصر هارون الرشيد مرحلة انتقالية أخذت حركةُ الترجمة فيها تتأهَّبُ لتدخل طورًا جديدًا من العظمة والازدهار، ولقد قام بيت الحكمة الذي وضع نواته هارون الرشيد بدور جليل في إعداد حركة الترجمة للقفزة الهائلة التي حققتها منذ عصر المأمون؛ فقد جُلِبَتْ إليه مخطوطاتٌ جديدة قيمة، شَكَّل التراثُ اليوناني معظمَها، كما ضمَّ عددًا من المترجمين الذين أصبحوا أكثر وعيًا بأصول الترجمة؛ وعلى رأسهم: يوحنا بن ماسويه.

- **ثالثًا:** يمثل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) العصر الذهبي للترجمة؛ فقد ظهرت فيه أعظم مدارس الترجمة على الإطلاق، وهي مدرسة حنين بن إسحاق، كما تطور بيت الحكمة فيه إلى مؤسسة جامعة، كانت للترجمة فيها إدارة خاصة، أرست أصولها وجعلت منها فنًّا محكمًا دقيقًا، ولقد رُوجِعت في هذا العصر معظم

الترجمات السابقة وتم إصلاحها أو إعادة ترجمتها، بل إنَّ المترجم نفسه كان يراجع أحيانًا ما قام هو بترجمته حين يرى داعيًا لذلك، ومن ذلك ما فعله إسحاق بن حنين بعد أن ترجم كتاب «**النفس**» لأرسطو إلى العربية، يقول إسحاق: «نقلتُ هذا الكتاب إلى العربية من نسخة رديئة، فلما كان بعد ثلاثين سنة وجدت نسخةً في نهاية الجودة، فقابلتُ بها النقل الأول وهو شرح ثامسطيوس»[1]، وفي هذا العصر أيضًا تدفق المزيد من المخطوطات اليونانية إلى بيت الحكمة وتعددت مصادر الحصول عليها، وحَظِيَت الترجمة برعايةٍ واسعة على المستوى غير الرسمي إلى جانب المستوى الرسمي، واتسع نطاق الترجمات فأصبحت تغطي تقريبًا كل جوانب النشاط العقلي اليوناني، وقد كانت كل هذه العوامل وراء ظهور ما نسميه بالعصر الذهبي للترجمة.

- **رابعًا:** شهد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ظهور الدور الأخير للترجمة، وقد أسهمت بعض الدول التي قامت في ظل الخلافة العباسية في تلك الفترة بنصيب في حركة الترجمة، وقد ظهر ذلك واضحًا في إمارة **سيف الدولة الحمداني، وعضد الدولة البويهي.** كما ظهرت في هذه المرحلة آخر مدارس الترجمة وهي **مدرسة اليعاقبة** التي تركزت معظم ترجماتها حول أعمال أرسطو وخاصة في المنطق، وقدمت أيضًا -على نطاق أضيق- بعض الترجمات الطبية والفلسفية، وراجعت بعض الترجمات، ولكن مدرسة اليعاقبة لم تجد أمامها الكثير ممَّا يستحق الإنجاز؛ لأن عصر الترجمة الذهبي كان قد قام بمعظم المهمة.

- **خامسًا:** نلاحظ أن الذين نهضوا بالعبء الأكبر في حركة الترجمة من التراث اليوناني كانوا من غير المسلمين، ويأتي على رأسهم النساطرة، والصابئة الحرانيون، واليعاقبة، بل إنَّ اليهود قاموا بدور أيضًا في تلك الحركة؛ إنَّ هذا كله يؤدي بنا إلى نتيجة لا يخطئها الناظر وهي أن الحضارة الإسلامية لا ترفض الذين يختلفون معها في العقيدة والآراء، بل إنها تتقبلهم وتفسح لهم مكانًا في رحابها، ولا تضع من اختلاف العقيدة قيودًا على التعامل معهم، والقيام بحقوقهم، والاستفادة من منجزاتهم، حيث يروي المؤرخون أنَّ المنصور عرض الإسلام على طبيبه **جورجيس بن بختيشوع**، فقال له بختيشوع: «رضيت حيث آبائي في الجنة أو في النار»، فضحك

(١) «**الفهرست**» لابن النديم، (ص/ ٣٥٢).

المنصور[1]، والحق أن الحضارة الإسلامية صهرت هؤلاء جميعًا في بوتقتها لأنهم عاشوا في ظلها وتنفسوا هواءها ونعموا برعايتها، فهم في النهاية نتاجها وإن كانوا على غير الإسلام.

- **سادسًا:** ومما نلاحظه ونستخلصه أيضًا (وهو مرتبط بما قلناه الآن) أنَّ الحضارة الإسلامية حضارة واثقة، تفتح منافذها للهواء الخارجي دون أن تخشى اعتلالًا؛ فهي قائمة على مبدأ التماس الحكمة حيث وُجِدت ولو في الصين، وأخذها ولو من فم كافر، لقد أكبَّ المسلمون على فكر أفلاطون وأرسطو وغيرهما من مفكري الإغريق، ولم تمنعهم وثنية هؤلاء من التماس المفيد من أقوالهم وتجاربهم، وكانوا في الوقت نفسه يستبعدون ما يتصادم من أصول عقيدتهم؛ وفي هذا يتجلى أحد الجوانب البارزة لعبقرية الحضارة الإسلامية التي تأخذ من الآخرين ما شاءت دون أن تفقد هويتها أو تذوب في هؤلاء الآخرين؛ إنَّ حركة الترجمة التي ألقينا عليها بعض الضوء في الصفحات السابقة يمكن أن تقدِّم درسًا نافعًا للمجتمعات الإسلامية المعاصرة التي لا تحذو حذو أسلافها في الاطلاع على منجزات الحضارات الأخرى واستيعاب إبداعاتها.

- **سابعًا:** كانت حركة الترجمة مصدر ثراءٍ وغنًى للغة العربية التي برهنت من خلال هذه التجربة الخصبة على أنها لغةٌ حية متجددة، قادرة على احتواء كل فنون العلم والمعرفة؛ لقد استطاع المترجمون أن يطوِّعوا اللغة العربية للتعبير عن أدق المعاني الفلسفية والعلمية، فتطورت مفرداتها وتركيباتها، وأخذت تتقدم إلى مركز الصدارة العالمية الذي استطاعت الوصول إليه بعد قليل، والحقُّ أنَّ تأثير حركة الترجمة في تطور اللغة العربية موضوعٌ جدير بأن يحظى باهتمام علماء اللغة الذي يستطيعون أن يُخرجوا فيه أبحاثًا عالية القيمة.

- **ثامنًا:** لاحظنا ونحن نرصد تطور حركة الترجمة أنَّ هذه الحركة استطاعت أن تشد اهتمام المجتمع كله، إلى الحد الذي جعل بعض الأسر والأفراد القادرين يسهمون بدور بارز في رعاية هذه الحركة، إلى جانب الدور الرسمي، إنَّ هذا موقفٌ يدعو إلى الإعجاب والتنويه، ويستحق أن يوضع نموذجًا أمام الكثيرين من أثرياء العالم الإسلامي المعاصر، الذين ينفقون أموالهم فيما لا ينفع الناس!

(١) «**أخبار الحكماء**»، لابن القفطي، (ص/ ١١١)، وانظر أيضًا: «**طبقات الأطباء**» لابن أبي أصيبعة، (٢/ ٤٠)، مع اختلاف طفيف في العبارة.